

روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل



الضربة القاضية

٤٩



Looloo

www.dvd4arab.com

الطور والي

www.dvd4arab.com

١ - أين ؟ ..

لوح مفتش الشرطة الإيطالية (مارشيللو) بذراعه ، في تحية عامة ، وهو يعبر زدهة قسم الأبحاث الجنائية في (روما) بخطوات سريعة ، وأجابه العشرات من رجال الشرطة المنتشرون خلف مكاتبهم في الزدهة ، وغمغم أحدهم وهو يتأمل (مارشيللو) الذي دفع باب مكتب رئيس البحث الجنائي ، ووجه دون استئذان :

— عجيب هو (مارشيللو) هذا .. إنه شديد الإخلاص لعمله ، ولكنه لا يدري شيئاً عن أصول اللياقة .
ابتسم رجل آخر ، وأجاب :
— ومن يبالي بأصول اللياقة في مهنتنا هذه يا صديقي ؟ ..
القبور تمتلئ بمن اتبعوها من رفاقنا .
هز الرجل الأول رأسه في أسف ، وقال :
— أعتقد أن هذا صحيح يا صديقي .
ثم أردف في اهتمام :

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد في سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذي أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق



الجنائى ، لغاز الثانى على الفور ، فقد كان الرئيس يسأل المفتش
(مارشيللو) فى اهتمام :

— ألدريك أبناء عن (شيطان المافيا) ؟

حرّك (مارشيللو) رأسه نفيًا ، وقال :

— ولاخير واحد .. حتى التحقيق الذى أجريناه مع

(جروشو) ورجاله ، فى الأسبوع الماضى ، لم يسفر عن شىء

كالعادة .. فلقد ادعى الجميع أنهم تعرّضوا لهجوم مجهول ،

والقانون يكفل لهم حق الدفاع عن أنفسهم .

زفر رئيس البحث الجنائى فى ضيق ، وقال :

— أعقّد أنهم قد انتصروا هذه المرّة أيضًا

يا (مارشيللو) .

ابتسم (مارشيللو) ، وهو يقول :

— كلاً ياسيدى ، فلو أنهم فعلوا ، لنشروا الخبر بكل

الوسائل الممكنة ، حتى يستعيدوا سطوتهم .

ثم شرد ببصره ، وهو يستطرد :

— إن ما أعتقده حقًا هو أنه ابتعد قليلًا ، استعدادًا للجولة

القادمة .

برقت عينا الرئيس ، وهو يقول فى جدل :

— لقد حاربنا نحن (المافيا) لسنوات وسنوات ، دون أن

ننجح فى هزيمتهم مرّة واحدة ، وما أن ظهر ذلك الرجل الذى

يطلقون عليه اسم (شيطان المافيا) ، حتى انهالت الهزائم على

(المافيا) كالطر ، فقد حطّم كازينو القمار التابع لهم ،

وصحيفتهم و ... (*)

قاطعه زميله ، قائلاً :

— وأين انتهى به كل هذه يارجل ؟.. لقد اختفى تمامًا ،

بعد تبادل النيران ، الذى أيقظ (روما) كلها منذ أسبوع ، فى

قصر (جروشو مانيانى) .

عقد الأول حاجيه ، وغمغم فى قلق :

— هل تظن أنهم نجحوا فى التخلص منه ؟

هزّ الثانى كفيه ، وقال :

— هذا السؤال يقلق الجميع يا صديقى ، وأراهنك أنه

محور حديث الرئيس ، مع (مارشيللو) .. أراهنك بألقى

ليرة .

لو كان بإمكانهما سماع ما يدور فى حجرة رئيس البحث

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزئين الأول والثالث (الرصاصه

الذهبية) ، و (شيطان المافيا) .. المامراتان (٤٧) ، (٤٨)

البحر ، وقد أغلق عينيه ، ومدّ قدميه فوق مقعد مقابل ،
وهمست (صوفيا) ، وهي تسأل (منى) :

— أهو نام ؟

هزّت (منى) رأسها نفيًا ، وقالت :

— لا .. إنه لم يذُق طعام اليوم منذ البارحة .

عادت (صوفيا) تتأمل (أدهم) في إشفاق ، وغمغمت في
حنان :

— ما الذى يقلقه إلى هذا الحد ؟

أقلقت لهجتها الحنون (منى) ، وبعثت في قلبها بعض
الغيرة ، وهي تحب :

— إنه غير راضٍ عما فعله حتى الآن .

هتفت (صوفيا) في دهشة :

— كيف .. لقد دمر معظم منشآت (المافيا) و ..

أجابها (أدهم) هذه المرة ، دون أن يفتح عينيه :

— هذا بالذات ما يضايقى يا عزيزتى (صوفيا) .

ثم فتح عينيه ، ونهض من مقعده ، وهو يردف في ضيق :

— هذا الأسوع الذى قضيته هنا ، جعلنى أرى الأمور

على نحو مخالف .. لقد كشفت أننى من خلال صراعى مع

— نعم .. أعتقد ذلك .

ثم عاد يحدّ شفتيه في أسف ، ويقول :

— من المؤسف أن يثر (شيطان المافيا) هذا إعجابنا

كله ، ثم يضطر لاعتباره مجرمًا ، ونسعى للقبض عليه .. ولكن

القانون هو القانون .. للأسف .

تتم (مارشيللو) في هدوء :

— القانون ليس صورة العدالة الوحيدة يا سيّدى .

هزّ الرئيس كتفيه ، وقال :

— ولكنه عملنا الوحيد يا (مارشيللو) .

أومأ (مارشيللو) برأسه موافقًا في ضجر ، ثم رفع عينيه

في شرود ، وهم يفهم :

— ولكننى أتساءل أين هو ..؟ أين ؟

دلفت الصحفية الشابة (صوفيا) إلى واحدة من

حجرات منزلها الصيفى ، على شاطئ مصيف (نابولى)

الإيطالى ، وتأمّلت في (منى توفيق) ، التى انهمكت في

تنظيف مدفع رشاش ، ودارت بصرها تتأمّل (أدهم

صبرى) ، الذى استرخى في شرفة المنزل المطلّة على شاطئ

(المافيا) ، قد تحوّلت إلى مجرم مثلهم ، وليست هذه هي
الوسيلة المثلّ شاربة المجرمين .
هتفت (صوفيا) :

— ولكن الجميع يرون أنك بطل .

لوح بذراعه ، وهو يقول :

— لا يعنى ما يراه الجميع ، فكراهيتهم لـ (المافيا)
جعلتهم يعجبون بأفعالي ، أما أنا فلا .

ساد الصمت لحظة ، وهو يتأمل البحر الممتد أمامه ، قبل
أن يستطرد :

— إننى منذ البارحة أبحث عن وسيلة نظيفة للقضاء على
(المافيا) ، دون تدمير المنشآت ، وتعريض العشرات للخطر .
وتهدج صوته ، وهو يردف فى حزن :

— وسيلة تشبه تلك التى كسا نفعها إبان عملنا فى
التحقيقات المصرية^(*) .

تبادلت (منى) و (صوفيا) نظرات قلقه ، فى حين
استعاد صوت (أدهم) صرامته ، وهو يستطرد :

— إننى أخطط للجولة الأخيرة .. للضربة القاضية .

* * *

(*) راجع الجزء الثانى (شيطان المافيا) .. المغامرة (٤٨)

٢ — بلا رحمة ..

تحرك (جروشو مانباى) فى ردهة قصره فى بطناء . عاقدا
كفيه خلف ظهره ، وهو يقول لـ (سونيا جراهام) ، التى
استرخت فى ثوب قصير ، فوق أريكة أنيقة ، تدخن سيجارتها
الرفيعة . وتفت دخانها فى بطناء :

— لم تتضح الأمور بعد يا (سونيا) .. فلقد اختفى (أدهم
صبرى) تماما . وأوقف كل نشاطاته ضدنا ، وكأنما قرّر أن
ينهى المعركة عند هذا الحد .

مطّت (سونيا) شفيتها ، وقالت فى هدوء :

— كلاً يا (جروشو) .. لقد أبلغنى الرفاق فى
(الموساد) ، أن (أدهم صبرى) قد فقد عمله فى التحقيقات
المصرية ، بعد أن حطّمناه بكشفنا له فى الصحف ، وأصبح
مجرد فرد عادى ، لا يتلقى أية مساعدات من التحقيقات
المصرية .. وهذا فى حدّ ذاته يعدّ انتصاراً لنا ، وهزيمة
لـ (أدهم) ، ستدفعه بالتالى إلى مزيد من القتال ، والرغبة فى
الانتقام .

استمع إليها (جروشو) في اهتمام ، ثم لُوح بكفه وهو يقول :
— ولكنني لن أنتظر حتى يبدأ قتاله يا (سونيا) ، إنني
أسعى لمهاجمته أنا هذه المرة .. أسعى لقلب المائدة على رأسه ،
قبل أن يخطو خطوة واحدة .

ابتسمت (سونيا) في غموض ، وقالت :

— سنفعل يا (جروشو) .. سنفعل .

لم تكذب تم عبارتها ، حتى ارتفع رنين الهاتف ، فأسرعت
تلقط سماعته ، وتقول في لهفة :

— هنا (سونيا جراهام) .. من المتحدث ؟

تألفت عيناها فجأة ، وهي تهتف :

— أهو أنت يا (كاهان) ؟ .. كيف حالك ؟ .. هل لديك

أخبار جديدة ؟

ازداد تألق عينيها ، وهي تقول في انفعال :

— هذا رائع !! لقد أنجزتم عملاً رائعاً يا (كاهان) .

ثم وضعت السماعة ، واستدارت تقول لـ (جروشو) في
مزيج من الانفعال :

— هل رأيت ما يمكن أن يفعله (الموساد)

يا (جروشو) ؟ .. هل رأيت كيف أننا نتفوق على (المافيا) ؟

عقد (جروشو) حاجبيه ، وهو يسألها في غضب :

— ماذا تعنين يا (سونيا) ؟

نهضت في حماس ، وأطفت سيجارتها في عصبية ، وهي

تقول :

— هل كنت تعلم أن الصحفية (صوفيا) تمتلك منزلاً

أنيقاً على ساحل (نابولي) ؟

عقد (جروشو) حاجبيه ، وغمغم في توثر :

— لا !! وماذا يعنيه ذلك ؟

ابتسمت في فخر ، وأجابت :

— يعني أن (أدهم صبرى) يخفى هناك يا (جروشو) ،

ولقد رآه رجالنا يجلس في شرفة المنزل منذ الصباح .. منذ

شروق الشمس .

برقت عينا (جروشو) في شراسة ، وغمغم وهو يضغط

أسنانه في قوة :

— رائع يا (سونيا) .. وأعتقد أن هذا سيكون آخر

شروق يراه صديقنا (أدهم) ، فقبل الشروق التالي سيكون

حثة هامدة .. سأقتله هذه المرة بلا رحمة .. بلا رحمة على

الإطلاق .

تأول الصحفي (فايو) واحداً من أكواب القهوة ، التي
أعدتها (صوفيا) ، وقال وهو يتطلع إلى باب حجرة
(أدهم) المغلق :

— عجب (أدهم) هذا !! .. من لا يعرفه يظن أنه أكثر
أهل الأرض حمولاً .. إنه لم يغادر حجرته منذ الصباح .
أجاب (منى) في هدوء :

— سيد هشك ما سيفعله عند مغادرتها يا سنيور (فايو) .
ابتسمت (صوفيا) ، وهي تقول في حنان :

— إنه يدهشني دائماً ، فهو رجل عظيم .
عقدت (منى) حاجبها ، وقالت في غيرة :

— إنه لم يعد يدهشني على الأقل .

فتح (أدهم) باب حجرته فجأة عند هذه النقطة ،
وابتسم وهو يقول في هدوء :

— قلبي يحدثنى أنكم تتحدثون عني .

ضحك (فايو) ، وقال :

— يا إلهي !! .. إننا نفعل منذ الصباح يا رجل ، وهانحن
أولاء في الحادية عشرة والنصف مساءً ، ولم نترك بعد .

قالت (منى) في اهتمام :

— هل توصلت إلى الحطة المناسبة يا (أدهم) ؟

ابتسم (أدهم) ، وقال :

— إلى حد ما يا عزيزتي (منى) .

كادت (منى) تسأله عن تفاصيل الحطة ، لولا أن
اندفعت (صوفيا) تقول في لفتة :

— ألا ترغب في تناول الطعام ؟

ارتسمت على شفهي (أدهم) ابتسامة جذابة ، وهو
يقول :

— سأتناول أي شيء مادمت أنت مستعدينه يا عزيزتي
(صوفيا) .

تهللت أسارير (صوفيا) ، في حين قطبت (منى)
حاجبها ، وقالت في سخط :

— ألن نتحدث في تفاصيل الحطة أولاً ؟ ..

اندفع (فايو) يقول :

— نعم .. كنت أحب أن .. .

قاطعته (أدهم) فجأة بإشارة من يده ، وبدأ وكأنه يصغي
في اهتمام بالغ ، إلى شيء ما ، مما أثار قلق الجميع ، وهمست

(منى) وقد عاودها شعور المخاطرة :

— أهنك شيء ما ؟

أجابها (أدهم) ، وهو يقطب حاجبيه :

— أعتقد يا (منى) .. لقد تحيل إلى أننى أسمع صوت

مدفع رشاش يُعدُّ للاستعمال .

هتف (فايو) فى دهشة :

— مدفع رش

فاطمة (أدهم) مرّة أخرى بإشارة من يده ، وقال فى

صوت هادئ :

— صمًا ياسينور (فايو) .

وفى خفة التمر تسأل (أدهم) إلى نافذة الرُدْهة ،

واحتلس نظرة سريعة منها ، ثم ابتسم فى سخرية ، وقال :

— لقد خلا الطريق فجأة من المازة ياسادة ، وأعتقد أن

الجولة القادمة لنا مع أوغاد (المافيا) ستبدأ بعد لحظات .

٣ — الهجوم الليلي ..

أتقن رجال المافيا حُطَّتْهم بقدر الإمكان هذه المرّة ، وعملوا
فى خفة ومهارة ، باذلين أقصى جهدهم كيلا يشعر بهم
(أدهم) ، إلا فى اللحظة الحاسمة ..

فى البداية عزلوا منزل (صوفيا) عن كل البيوت المحيطة به ،
وأخلوها من سكانها فى صرامة وقسوة ، وهم يحذرونهم من التفوه
بكلمة واحدة ، ثم عزلوا تلك المنطقة من الشاطئ والطريق فى
سرعة وخشونة ، حتى أصبحت لهم السيطرة الكاملة على
المنطقة ..

وهنا بدءوا زحفهم الحذر للإحاطة بـ (رجل المستحيل)
ورفاقه ، وكل اثنين منهما معًا فى زحفهما ..

كانوا ثلاثين رجلًا مسلحًا بالمدافع الرشاشة ، يتحركون نحو
المنزل فى خفة ، وبدت الحُطَّة هذه المرّة شديدة الإحكام ،
حتى أن أحدهم همس فى أذن رفيقه فى فخر :

— أراهنك أنه لن يفلت هذه المرّة .. لقد صاغ دون
(جروشو) حُطَّتْه فى مهارة .



أمسك (أدهم) بالرجلين ، وجذبهما بعيدا عن المنزل ..

أجابه زميله في همس خذر :

— انظر حتى نصل إليه يا رجل .. إنني لن أثق بالفوز على هذا الشيطان ، حتى أراه جثة هامدة تحت قدمي .

انفض جسدهما فجأة ، حينما سمعا همسا ساخرا ، يقول من خلفهما :

— أفسحا الطريق أيها الوغدان ، فأنتما تَعوقان الطريق إلى المنزل .

استدار الرجلان إلى مصدر الهمس في سرعة وذعر ، وقد قرّر أحدهما إطلاق النار على المتحدث ، في حين اعتزم الآخر الصراخ لتبيه باقي الرجال ، ولكن أحدهما لم يصل إلى ما كان يسعى إليه ، فقد هزت قبضة (أدهم) اليمنى على فكّ أيسرهام كالقنبلة ، وانطلقت قبضته اليسرى تهشم أنف الثاني كالصاعقة ، لیسقط الرجلان في صمت ..

أمسك (أدهم) بالرجلين ، وجذبهما بعيدا عن المنزل ، ثم أسرع إليه في خفة الفهد ، وتسلّل إلى سيارة (صوفيا) ، التي قبعت ساكنة هناك ، واحتل مقعد القيادة ، وهمس متحدثا إلى (منى) ، التي تجلس إلى جواره ، و (صوفيا) و (فايو) اللذين يجلسان في المقعد الخلفي :

— اخفضوا رؤوسكم جميعاً ، فما أن أدير المحرك ، حتى
تجدوا أوغاد (المافيا) في كل مكان .
سأله (فايو) في قلق :

— هل تظن أنهم يجرؤون على إطلاق النار ، على الرغم مما
قد ينشأ عن ذلك من تسيه لرجال الشرطة ؟
ابتسم (أدهم) في سخرية ، وقال :
— رجال الشرطة ؟!.. سينهم الرصاص علينا كالمنظر ،
قبل أن يصل أول رجل شرطة يا صديقي .
غمغت (صوفيا) في قلق :

— وهل ستصمد السيارة ، أمام كل هذا الوابل من
الرصاصات ؟

هز (أدهم) كتفيه في لامبالاة ، وقال :

— لست أدري يا عزيزتي (صوفيا) سنختبر ذلك بعد
لحظات .

ثم أردف وهو يدير محرك السيارة :

— وباله من اختبار !!

لم يكد صوت محرك السيارة يرتفع ، حتى تسمر رجال
(المافيا) جميعهم دفعة واحدة ، ثم صاح زعيمهم في توأثر :
— اللعنة !! إنهم يحاولون الفرار بالسيارة .. أسرعوا إلى
هناك .

اندفع رجال (المافيا) كلهم إلى مكان السيارة ، التي
اندفع بها (أدهم) بغتة ، محطماً بابها الخشبي ، ومنطقاً وسط
رجال (المافيا) ، في حين جلست إلى جواره (منى) ، التي
أبرزت مدفعها الرشاش من نافذة السيارة المجاورة لها ،
وأطلقت منه النيران في غزارة ، وجاوبتها رصاصات رجال
(المافيا) ، التي هبطت على السيارة كالمنظر ، محطمة هدوء
(نابولي) ، ومحوّلة إيّاه إلى حلبة للصراع ..

تلقت السيارة المسكينة عشرات الرصاصات ، فتحطم
زجاجها الأمامي برصاصة مرقت إلى جوار أذن (أدهم)
تماماً ، وأخرى خدشت ذراع (منى) ، وثقب أبوابها الأربعة
بعض الطلقات النارية ، وأن هيكليها المعدني من فرط
ما ارتطم به من رصاصات ، ولكنها أطاعت قائدها الجسور ،
الذي كان يدير عجلة القيادة في مهارة ، ليدور حول رجال
(المافيا) ، أو يرتطم بعضهم ، ليشق طريقه خارج
حصارهم ، وصاح زعيمهم في جنون :

— الإطارات .. أطلقوا النار على الإطارات .

سمع ركاب السيارة الأمر في اللحظة نفسها ، فزاد (أدهم) من سرعة انطلاقه ، حتى هت محرك السيارة ، وهو يحاول الاستجابة لأوامره ، وأصبحت عجلة قيادتها بالجنون ، و (أدهم) ينطلق بها في خط متعرج ، محاولاً تفادي سبل الرصاصات ..

وفجأة .. انفجر إطار السيارة الأمامى الأيسر ، وتبعه الخلفى الأيمن ، وترنحت السيارة ، وتأزجت ، وبات من الختم أن تقلب رأساً على عقب .

ولكن قائدها كان (أدهم صبرى) .

كان (رجل المستحيل) ..

تحولت قبضتا (أدهم) إلى قطعتين من الفولاذ ، وهو يقبض على عجلة القيادة ، وتحركتا في الوقت ذاته كمطاط لبدن ، وهو يديرها في خفة ومهارة مذهلتين ، ليحافظ على توازنها ، ويواصل اندفاعها غير رجال (المافيا) ..

صاحت (منى) وهي تشير إلى نقطة على الطريق :

— يا إلهي !!.. لقد أقاموا حاجزاً خشبياً .. لقد منعوا

المرور من المنطقة .

لم يبال (أدهم) بعبارتها ، وإنما صاح في صرامة :

— احتى رأسك يا (منى) .

حتت (منى) رأسها في اللحظة ذاتها ، التي اندفع فيها (أدهم) نحو الحاجز الخشبي ، غير مبالي بالرصاصات التي انطلقت نحوه ، ثم حتى رأسه بدوره ، عندما ارتطم بالحاجز ، الذي صدمه الجزء العلوى من السيارة في قوة ، كان لها صوت كالقنبلة ، وأطار سقف السيارة تماماً ، في حين واصل (أدهم) اندفاعه بها ، ليعتد عن منطقة الحصار ..

امتزجت أصوات رصاصات رجال (المافيا) بصحكة (أدهم) الساخرة ، وهو يقول :

— لقد نجونا هذه المرة أيضاً يا سادة .

اعتدلت (صوفيا) ، ورفع (فايو) رأسه في ذهول ، مع تأرجح السيارة القوي ، وهي تدفع بأقصى سرعتها ، مع وجود إطارين تالفين ، ثم هتفت (صوفيا) في ذهول :

— لقد تحولت سيارتي الجديدة إلى حطام .

غمغم (فايو) في سخط :

— صنة يا (صوفيا) .. المهم أنك أنت سليمة .

أدهشه (أدهم) ، حينما قال في هدوء :

— أعتقد أننا لن نبقى هكذا طويلاً يا صديقي ، فقد ثقت

رصاصات هؤلاء الأوغاد خزّان الوقود ، ومبرّد السيارة ،
ولن نلبث أن نتوقّف .. واعتقد أن سيارات هؤلاء المجرمين
ستلحق بنا بعد لحظات .

اتسعت عينا (صوفيا) رعبا ، في حين هتف (فايو) في
ذعر :

— يا إلهي !! .. بعد كل هذه المعجزات التي فعلتها !!
لم يكذبتم عبارته ، حتى ارتجفت السيارة في قوّة ،
وأصدر محرّكها صوتا كحشرة قوية ، قبل أن يهدر هدرته
الأخيرة ، وتتوقّف السيارة تماما ..

هتفت (منى) في خنق :
— يا إلهي !!

قفز (أدهم) خارج السيارة ، وهتف في لهجة أمرة :
— اتبعوني يارفاق .. سنحاول الاختفاء في هذه الغابة
القرية و

غمزتهم فجأة أضواء سيارة قادمة من الاتجاه الآخر ، فبتر
(أدهم) عبارته ، وعقد حاجبيه في حزم ، وهو ينتزع
مسدسه من حزامه ، ويشير إليهم ، قائلا .

— اختفوا داخل السيارة ، فربما كان هؤلاء الأوغاد قد
أعدّوا لحظة احتياطية لمباغتتنا في حال هروبنا .

قفزت (منى) إلى جواره ، وهي تمسك مدفعها
الرشاش ، وقالت في صرامة :

— في هذه الحالة سأشاركك المصير نفسه .

لم يعلّق (أدهم) على عبارتها ، وإنما ظل صامتا ، جامدا
الملاح ، وقد تعلّق بصره بالسيارة القادمة ، التي اقتربت منهم
في سرعة ، حتى أصبحت أمامهم تماما ، فتوقّفت ، وأغشى
ضوءها القوي عيونهم لحظة ، قبل أن يرتفع من داخلها صوت
مرح ، يقول باللغة العربية :

— يا إلهي !! .. أهكذا تستقبلان صديقا قديما ؟ ..
بمسدس ومدفع رشاش ؟

اتسعت عينا (منى) في دهشة ، في حين عقد (أدهم)
حاجبيه ، وغمغم في سخرية :
— أحقا ما أسمع ؟

أطفأ قائد السيارة ضوءها المبهر ، وغادرها في ببطء وهو
يبتسم في مرح ، ولم تكذب (منى) ترى جسده البالغ البدانة ،
حتى هتفت في جدل عصبي :

— يا إلهي !! .. كم تسعدني رؤيتك في هذه اللحظة
يا (قدرى) .. إنك تبدو لي كملك حارس .

ضحك (أدهم) ، وهو يقول في سخرية :

— ولكنه أكثر الملائكة الحارسة بدانة يا عزيزتى .

أطلق (قدرى) ضحكته المجلجلة المرححة ، في حين اندفع

(أدهم) يصافحه في حرارة ، أمام أعين (فايو)

(و صوفيا) المذهولتين ، وسأله في اهتمام :

— أليس من العجيب أن نلتقى بك هنا ، في هذه اللحظة

بالذات يا صديقى ؟

تطلع (قدرى) إلى الطريق ، ثم قال في مرح :

— الأمر يبدو لي مذهلاً بقدر ما هو مفرح يا أعزَّ

الأصدقاء .. ولكننى سأؤجل الشرح حتى نبتعد عن هنا ..

فمرأى هذه السيارة المسكينة يؤكد لى أنكم خرجتم لتوكم من

مطاردة قاسية .

ثم أشار إلى الأضواء التى تقترب بسرعة ، وأردف :

— وأن المطاردة لم تنته بعد .

* * *

٤ — الهدية ..

احتلَّ (أدهم) مقعد القيادة في سيارة (قدرى) ، وجلس

هذا الأخير إلى جواره ، في حين تكدَّس (فايو) و (صوفيا)

(و منى) في المقعد الخلفى ، وهتف (قدرى) في مرح :

— هل تعلم أنها أول مرَّة أشارك فيها في إحدى مطارداتك

يا (أدهم) ؟

ابتسم (أدهم) ، وقال هو ينطلق بالسيارة :

— معذرة يا صديقى .. ولكننى لن أمنحك هذه الفرصة .

هتف (قدرى) في دهشة :

— كيف !؟ .. إنهم يطاردوننا .. أليس كذلك ؟

ضحك (أدهم) ، وقال في بساطة :

— لا يا صديقى .. إنهم ينطلقون خلف سيارة (صوفيا) ،

ولكننا سننطلق بسرعة إلى جوارهم ، في الاتجاه المضاد ، عائدين

إلى (نابولى) ، ولن يشك أحدهم لحظة في أننا نملأ سيارتك .

ضحك (قدرى) في جدل ، وقال :

— هل تعنى أنك ستخدعهم ؟

ابنسم (أدهم) ، وقال وهو يعبر سيارات (المافيا)
الخمس في سرعة :

— لقد فعلنا بالفعل يا صديقي .

فهقد (قدرى) في جذل ، وقال :

— أنت رائع دائماً يا صديقي !! حتى في الإدهار .. فمن
المفروض أنهم فاجئوك بالهجوم ، ولن يتوقعوا حصولكم على
سيارة أخرى بهذه السرعة .. وأراهن أنهم سينمكون حتى
الصباح في تفتيش المنطقة المحيطة بالسيارة المحطمة .

وتألفت عيناه مرحاً ، وهو يردف في خبث :

— هل تعلم أنى أفضل ذلك ؟ فلقد دفعت تأمينا ضخمًا
لاستجار هذه السيارة الفاخرة ، وسيؤلنى تحطّمها في
مطاردة .

ابنسم (أدهم) ، وقال :

— إنك لم تخبرنى بعد كيف وصلت إلى هنا يا صديقي
البدين ؟

هتف في مرح :

— سأخبرك بكل شيء يا صديقي ، حينما نصل إلى المنزل .

غمغمت (منى) في دهشة :

— المنزل ؟!

أجابها (قدرى) في سعادة :

— نعم يا عزيزتى .. لقد استأجرت لكم منزلاً أيقًا في

قلب (روما) نفسها ، ومنصل إليه من طريق آخر ..
صحيح أنه كلّفنى كل مدخراتى تقريباً ، ولكن هذا
لايساوى شيئاً ، مادمت سأشارك هذه المرة في إنقاذ (رجل
المستحيل) .

وأردف في مرح :

— أى فخر يفوق هذا ؟

* * *

ألقي (فايو) جسده المنك فوق أقرب المقاعد إلى باب
الشقة الفاخرة ، التى استأجرها (قدرى) في قلب (روما)
وهتف في راحة :

— يا إلهى !!.. لم أظن أننا سنصل إليها أبداً .

واشتركت (صوفيا) و (منى) في الجلوس على الأريكة
الواسعة ، باديتى الإرهاق ، في حين أشار (قدرى) إلى
الشقة ، وقال في مرح :

— هل أعجبتك شفتي في (روما) يا عزيزي (أدهم) ؟
— أمسك (أدهم) بكتف (قدرى) ، وقال في هدوء :
— إنك لم تجب عن سؤالى بعد يا صديقى .. كيف فعلت
كل هذا ؟ .. إننا نقيم معاً في القاهرة ، ولكننا لم نلتق مرة واحدة
بالمصادفة .. فكيف تأتى هذا في (إيطاليا) ؟
— اجنم (قدرى) ، وقال :
— الأمر ليس بمصادفة بحته يا صديقى ، وإنما تحتل
المصادفة الجزء الأخير منه فقط .
— عقد (أدهم) ساعديه أمام صدره ، وقال :
— حسناً .. أنا في غاية الشوق لسماع القصة كلها .
— أطرق (قدرى) لحظة في صمت ، ثم عاد يرفع رأسه ،
قائلاً :

— لقد خالفت قوانين الخبايرات كلها ، حينما أضرت على
البقاء في (روما) بعد تحطّم كفى ، ومصراع (حازم)
يا (أدهم) .. ولقد صدر بناء على ذلك قرار جمهورى
بفصلك وحرمانك من معاشك ورتبتك ، كما أخبرتك (منى)
ولاشك بعد أن هرعت إلى هنا فور استئاقتها .. ولكن أحداً في
الإدارة لم ينس أنك إنما فعلت ذلك للانتقام من أساءوا إلى أحد

رجال الخبايرات المصرية ، كان من الممكن أن يكون أيهم ..
ونظراً لأن اللوائح والقوانين تمنع مكافأتك في حال فصلك ،
فقد قرّرنا جميعاً ، بما في ذلك المدير ، أن نمنحك هدية .. هدية
وداع .

تطلعت (منى) إليه في خيرة ، في حين عقد (أدهم)
حاجبيه ، وغمغم في هدوء :
— هدية ؟ !

— أوماً (قدرى) برأسه إيجاباً ، وقال :

— نعم يا صديقى .. ولما كانت الهدية تناسب والضرورة
مع مكانة صاحبها وقدراته ، فقد كان من الغثم أن تكون هدية
الخبايرات العامة المصرية إليك شيئاً فريداً .
ابتسم لحظة ، ثم عاد يردف :

— ولما كان من الطبيعى أن نعثر عليك لتسليمك الهدية ،
بدأ رجالنا في التقيب عنك ، مستخدمين كل قدرات الخبايرات
المصرية ، ومهارتها ، وخبراتها ، وخبراتها .. أضف إلى ذلك
معرفة التامة بك ، وبأسلوبك ، التى قادتهم إلى استتاج
مكان اختيائك ، بعد معرفتهم بوجود منزل صيفى
ل (صوفيا) ، وكلفت أنا تسليمك الهدية ، فحضرت إلى

هنا ، واستأجرت ذلك المنزل الأنيق ، وهذه السيارة
الفاخرة ، وكنت فى طريقى إليك حينما التقينا .

ظهر التأثير على وجه (أدهم) لحظة ، ثم غمغم :

— وما نوع الهدية يا صديقى ؟

التقط (قدرى) حقيبة كبيرة ، وضعها فوق المائدة ،
وفتحها وهو يقول :

— ها هى ذى يا صديقى ..

ثم أشار إلى محتويات الحقيبة العديدة ، وقال :

— حقيبة أدوات تنكّر كاملة ، بها أحدث ما توصلت إليه

مختبراتنا لتلوين البشرة والشعر والعينين ، وكل الأدوات

اللازمة لصنع أقنعتك التى تهواها .. ومجموعة من أحدث

أجهزة التصنّت ، وأقواها ، وأصغرها .. وبعض الحفامات

اللازمة لصنع المتفجّرات سريعة المفعول .. ومسدس أنيق ،

يمكن تحويله الى مدفع رشاش عند الضرورة .. وأخيرًا جواز

سفر خاص ، يتيح لك العودة إلى القاهرة ، وقتها يحلّو لك ..

جواز سفر ديبلوماسى .. مارأيك فى هديتنا إليك يا صديقى ؟

لم يزد (أدهم) على أن قال فى صوت متهدّج :

— عظيمة .

ثم أشاح بوجهه إلى النافذة ، وكأنه يخفى الانفعال
العاطفى ، الذى سرى فى ملامحه ، وسار إليها فى خطوات
بطيئة ، ووقف يتطلّع من خلالها بعض الوقت ، ثم استدار إليهم
قائلًا :

— لقد أسعدتنى تلك الهدية جدًّا يا (قدرى) ، وإننى

أعتبرها إشارة لى بالمضى قدمًا فى انتقامى من (المافيا) .. ولى

توجيه ضربتى القاضية إليهم .



٣٣

٣٢

٥ - وبدأت الجولة الأخيرة ..

جلس (جروشو) في حجرة مكتبه صامتًا مهمومًا ، وقد شبك أصابع كفيه أمام وجهه ، فقالت (سونيا) وهي تدير أسطوانة موسيقية هادئة :

— لا تكتب إلى هذا الحد يا (جروشو) .. إذا كنا قد فشلنا هذه المرة ، فلن نلبث أن نتصر في جولة قادمة .
رفع عينيه إليها ، وغمغم في ألم :

— متى ؟

ثم عاد يهتف بغتة في عصبية :

— متى يا (سونيا)؟! لقد أعددت هذه المرة لحظة شديدة الإحكام ، لا تسمح للذهابة بالإفلات من حصار رجالي ، ثم إذا جهذا الشيطان ينسل من بين أصابعهم كالزئبق ، ويخفى عن عيوننا مرة أخرى .

قالت في هدوء ، وهي تسترخي فوق الأريكة المقابلة لمكتبه :
— إنه لن يخفى إلى الأبد ، وإلا لرحل إلى وطنه ، ومادام باقيا ، فلأنه له من القيام بضربة أخرى .

نهض من مقعده ، وضرب سطح مكتبه ، وهو يقول في غضب :

— متى يا (سونيا)؟! متى ..؟ وأين ؟

عقدت حاجبها وهي تقول :

— لا يمكنك استئاج خطوة قادمة ، ل (أدهم صبرى) .. إنه يضرب دائما حيث لا يتوقع ظهوره أحد .
ثم أردفت في تفكير :

— وربما كان هذا هو النسق الوحيد ، الذي يتبعه باستمرار .

لم يكذب بعبارة حتى ظهر أحد رجاله ، قال :

— هناك مفتش شرطة يطلب مقابلتك يا (دون) .

تضاعفت عصبية (جروشو) ، وصاح وهو يلوح بكفيه :

— ماذا أصاب مفتشى الشرطة في هذه المدينة؟! لقد قابلت منهم في الأسبوعين الماضيين أكثر مما قابلت في حياتي كلها .

ثم زفر في خنق ، وأردف :

— دُعُ يدخل ، ولنتر ماذا يريدون هذه المرة .

لم يمض وقت طويل حتى ظهر المفتش (مارشيللو) ، أمام باب المكتب ، وارتسمت على وجهه ابتسامة جافة ، وهو يقول :

— مساء الخير ياسنيور (جروشو) ، أنا المفتش (مارشيللو) من

قاطعته (جروشو) ، وهو يقول في لهجة خالية من الود :
— ماذا تريد أيها المفتش ؟

ألقى المفتش نظرة فاحصة سريعة على (سونيا) ، ثم ابتسم ابتسامة خبيثة ، وقال :

— هل قرأت شيئاً عما حدث في (نابولي) بالأمس ياسنيور (جروشو) ؟

أجابته (جروشو) في برود :
— لا ..

ازدادت ابتسامة (مارشيللو) خبيثاً ، وهو يقول :
— يسعدني أن أخبرك به ياسنيور (جروشو) .

أشاح (جروشو) بوجهه ، وغمغم في سخط :
— ليست لي رغبة لذلك .

تجاهل (مارشيللو) اعتراض (جروشو) ، وقال :

— لقد نشبت مساء أمس معركة بالرصاصات ، بين رجال (المافيا) ، وذلك الرجل الذي يسمونه (شيطان المافيا) .

زحجر (جروشو) ، وهو يقول في غضب :
— هذا لا يعني .

واصل المفتش ، وكأنه لم يسمع اعتراض (جروشو) :
— ولكنه هزمهم كالعادة ، وفرّ تحت سمعهم ، وبصرهم .

أدار (جروشو) وجهه إلى المفتش في جدّة ، وعقد حاجبيه ، وهو يتف في غضب :

— ماذا تريد أيها المفتش ؟

أجابته (مارشيللو) في سرعة :

— إنني أحاول إنهاء هذه الحرب ، التي تسيء إلى أمن البلاد ياسنيور (جروشو) .

هتف (جروشو) ، وهو ينهض من خلف مكتبه في جدّة :
— ألقى القبض على شيطان (المافيا) هذا إذن .

قال (مارشيللو) في هدوء :

— هل تظن هذا يكفي ياسنيور (جروشو) ؟

تضاعف الغضب في ملامح (جروشو) ، واقترب في

خطوات بطيئة من المفتش ، وتطلّع في عينيه مباشرة ، وهو يقول :

— هل أتيت لتخبرني هذا فقط أيها المفتش ؟

لم يبد الاضطراب لحظة على وجه المفتش ، بل ابتسم ، وقال في هدوء ، وهو يواجه زعيم الجريمة في العالم :

— كلًا ياسنيور (جروشو) .. لقد أتيت إلى هنا في مهمة رسمية .

لاح الاهتمام في ملاح (سونيا) ، وهي تنفت ذُخان سيجارتها في قوة ، وعقدت حاجبها الجميلين ، وهي تنفُرسُ في ملاح المفتش في اهتمام ، في حين سأله (جروشو) في دهشة :

— مهمة رسمية ؟! .. أية مهمة هذه ؟

بدا صوت المفتش باردًا كالثلج ، وهو يجيب :

— لقد تلقينا بلاغًا من مجهول ، يدعى فيه أنك تعمل لحساب جهاز مخابرات ، تابع لدولة أجنبية ياسنيور (جروشو) ، ولكي أكون أكثر دقة ، فهو يقول إنك تعمل لحساب (الموساد) .

توَلَّرت أعصاب (سونيا) ، وتسَلَّلت يدها في هدوء إلى

حقيبتها ، في حين بدا صوت (جروشو) مضطربًا ، ومتوترًا ، وهو يقول :

— (الموساد) ؟! .. من أوحى لكم بهذه الحمافة أيها

المفتش ؟

ابتسم المفتش في سخرية ، وقال :

— ليست حمافة تمامًا ياسنيور (جروشو) .

ثم التفت إلى (سونيا) ، وقال في صرامة :

— إلا إذا كان لديك تفسير آخر ، لوجود السنيورا

(سونيا جراهام) هنا ، في قصرك .

تراجع (جروشو) في ذهول ، في نفس اللحظة التي

لفزت فيها (سونيا) ، وصَوَّبت مسدسها الصغير ، الذي

القطعة من حقيبتها ، إلى رأس المفتش (مارشيللو) ، وهي

تهتف في جِدَّة وشراسة :

— انتهت اللعبة ياسادة .. يمكنك أن تزرع تنكُّرك الآن

أيها المفتش ، أو بمعنى أدق .. يا (أدهم صبرى) .

* * *

٦ - ضربة منتصف الليل ..

كانت خطوة (سونيا) جريمة ، مفاجئة ، حتى أن
(جروشو) لم يستطع النطق بكلمة واحدة ، وهو يحدق فيما
يحدث بذهول ، في حين ابتسم المفتش (مارشيلسو) في
سخرية ، وقال :

— أيمكننا اعتبار هذا اعترافاً يا سنيورا ؟

أطلقت (سونيا) ضحكة عصبية ، وقالت :

— أى اعتراف تشدد ياسيد (أدهم) ؟ .. أنت الذى
ينبغى أن يعترف بالسبب ، الذى دعاك لمحاولة الإيقاع بين
(الماليا) و (الموساد) .

تألقت عينا المفتش ، وغمغم في انفعال :

— يا إلهى !!! هذا اعتراف ثانٍ .

الدفعت يد (سونيا) إلى أنف المفتش الضخمة تجديها ،

وهي تقول في غضب :

— كفى يا (أدهم) ، لقد بلغت فى أداء دورك هذه

المرّة ، و



فى حين بدأ صوت (جروشو) مضطرباً ، ومتوترًا ، وهو يقول :

— (الموساد) ..!؟ من أوحى لكم بهذه الحماقة أيها المفتش ؟

تصلبت الكلمات في حلقها ، وشحب وجهها ، وارتجفت
أطرافها ، وهي تغمغم في ذهول :
— باللشيطان !!

أزاح المفتش (مارشيللو) يدها عن أنفه ، وهو يقول في
صرامة :

— معذرة ياسنيورا .. لقد ولدت بهذا الأنف ، وقصيت
به عمري كله ، ولا أظنه يرغب في مفارقتي الآن .

ظَلَّ (جروشو) و (سونيا) يحدقان في وجه المفتش لحظة
في ذهول ، ثم أطلقت (سونيا) ضحكة عصبية ، وقالت :

— هل أعجبتك دُعابتي أيها المفتش ؟

أجاب (مارشيللو) في برود :

— أئمة دُعابة ياسنيورا (سونيا) ؟

حدقت (سونيا) في عينيه بيروود مماثل ، وقالت :

— ماذا تريد بالضبط أيها المفتش ؟

ابتسم (مارشيللو) ، وقال :

— أعتقد أنني حصلت على ما أريد ياسنيورا ، فاعترافين

على هذه الصورة لا يمكن إهماهما .

تدخل (جروشو) في الحديث ، قائلاً في هدوء :

— السنيورا (سونيا) لم تقل شيئاً أيها المفتش .
عقد (مارشيللو) حاجبيه ، وقال :

— لقد سمعتها مغاً و ...

قاطعته (جروشو) في صرامة :

— أنا لم أسمع شيئاً ، ولم أقر شيئاً مما تدعيه .

ظهر الغضب على وجه (مارشيللو) لحظة ، ثم لم تلبث

الابتسامة الساخرة أن عادت إلى شفثيه ، وهو يقول :

— ليكن ياسنيور (جروشو) ، سنعتبر أننا لم نسمع

شيئاً .

ثم أردف في صرامة :

— ولكن ثق أن كل خطوة ستخطوها السنيورا (سونيا)

منذ هذه اللحظة ، ستخضع لرقابة صارمة .. فالجاسوسية

تختلف تماماً عن العمل الإجرامي يا ... يادون (جروشو) .

قال عبارته ، وأسرع يغادر حجرة المكتب ، التي زان

عليها الصمت ، في خطوات واثقة ، سريعة ، قوية ، ولم يكذب

يخفى في الممر المقابل حتى ضحكت (سونيا) في عصبية ،

وقالت وهي تلوح بكفها :

— مجرد حديث لامعنى له .

أجابه (جروشو) في صرامة :

— بل يحمل الكثير من المعاني يا (سونيا) ، وأقلها
ضرورة انسحابك من العملية ، والعودة إلى دولتك فوراً .
اتسعت عينا (سونيا) ، وهتفت في استكار :

— ماذا تقول يا ؟

— فاطعها في صرامة أشد :

— إنني أعنى كل كلمة نطقت بها يا (سونيا) .. منذ إنشاء
منظمة (المافيا) في صقلية ، مع بدايات هذا القرن ، على يد
(دون كيرليون) ، حرصنا أشد الحرص ، على ألا نعرض
أهدأ للأمور التي تمس الأمن الخارجي ، لأية دولة يتغلغل فيها ،
وأصبح هذا مع نمو المنظمة ، وانتشارها ميثاقاً غير مكتوب ،
ولقد كانت هذه حكمة بالغة من (دون كيرليون) ، فتحدثنا
للأمن الداخلي يثير حفيظة رجال الشرطة والبحث الجنائي
حقاً ، ولكن إلقاءهم القبض على أي فرد منا يستلزم أدلة ،
وبراهين ، وتعقيدات إدارية لاحصر لها ، تساعدنا روتينيتها
على الفرار في الوقت المناسب ، أما من يحافظون على الأمن
الخارجي ، كرجال المخابرات ، ومكافحة الجاسوسية ،
وخلالهم ، فهم لن يسمحوا باستمرار وضع يعرض دولتهم

للخطر ، لمجرد عدم وجود دليل .. إنهم في هذه الحالة
يضربون بلا رحمة ، ويحطمون بلا هوادة .

كانت (سونيا) تعلم أن كل كلمة نطق بها حقيقة ،
لا تقبل الجدل ، ولكنها قالت في اعتراض :

— مجرد لغو .

عقد (جروشو) حاجبيه في غضب ، وقال في صرامة :

— كفى يا (سونيا) .. إنني لن أقبل منك كلمة واحدة

بعد هذه اللحظة .

ثم نظر إلى ساعة الحائط ، وقال :

— عندما تشير عقارب هذه الساعة إلى منتصف الليل

تماماً ، سأمر رجالي بقتلك ، إذا كنت لا تزالين هنا في
قصرى .

ثم اندفع خارج حجرة مكتبه ، دون أن يسمح لها بنطق
حرف واحد ، ولم يَرَ تلك النظرة القاسية التي خدجتها بها ،
قبل أن تغمغم في غضب :

— لقد أحسنت اللعبة هذه المرة يا (أدهم صبرى) ..

لقد أتقنت أداء لعبتنا القديمة (فرق تسد) .

ونظرت إلى عقارب الساعة ، التي أشارت إلى التاسعة

٧- الرجل .. والمدينة ..

الساعة العاشرة تمامًا ، من مساء اليوم نفسه ..

اجتاز مدير مكتب مكافحة التجسس الإيطالي ، بوابة وزارة الدفاع الإيطالية في سرعة وانفعال ، وأسرع نحو ردهط من الرجال ، الذين أذوا التحية العسكرية في احترام ، قبل أن يسألهم المدير :

— أين هو ؟ .. هل ضبطتموه متلبسًا ؟

أشار أحد الرجال إلى حجرة جانبية ، وقال في حزم اكتسبه من العمل في هذا المجال :

— لقد تسلل إلى هنا في مهارة مذهلة ياسيدى ، ولقد ضبطه أحد حراس المبنى ، وهو يقوم بتصوير بعض الوثائق السريّة العسكرية ، ولكنه لم يقاوم قط .. بل استسلم فور ضبطه ، وهو يلعب (جروشو مانياى) في سخيطة .

عقد المدير حاجبيه ، وغمغم :

— (جروشو مانياى) ؟ .. ولكن لم يسبق له (المافيا)

قط التورط في عملية تجسس .

والنصف ، ثم التقطت سماعة الهاتف في عصبية ، وأدارت رقما خاصًا ، وأشعلت سيجارتها بأصابع متوترة ، وهى تستمع إلى الزئير في الجانب الآخر .. ولم تكذب تسمع صوت المتحدث حتى قالت في صوت خفيض ، واضح الخلق :

— (كاهان) .. أريد منك أن تجتد كل رجالنا في

(روما) للبحث عن (أدهم صبرى) .. أريد منهم أن يبتشوا كل شر في المدينة ، ويدفعوا كل الرشاوى الممكنة ، التى تكفى لحل الألسنة .

ثم صاحت في غضب :

— أريد (أدهم صبرى) قبل منتصف الليل ، بأى ثمن ..

هل تفهمنى يا (كاهان) ؟ .. بأى ثمن .



ثم أسرع إلى داخل الحجر ، ووقف لحظة يتطلع إلى
الشاب القوى ، مفتول العضلات ، أسود الشعر ، أخضر
العينين ، ثم اندفع نحوه ، وقال يسأل أحد الرجال المحيطين به :
— هل استجوبتموه ؟
غمغم أحدهم :

— كنا ننتظر حضورك ياسيدى .
رفع الشاب عينيه إلى مدير مكتب مكافحة التجسس ،
وقال في ضراعة :

— سأدلى باعتراف كامل ياسنيور ، وسيخفف هذا من
عقوبتي .. أليس كذلك ؟

أجاب المدير ، وهو يشعل سيجارته في توتّر :

— بلاشك .. بلاشك يابنى .. أريد أن أعرف أولاً من
أرسلك ؟ .. ولماذا ؟

أسرع الشاب يقول :

— سنيور (جروشو) ياسنيور .. إنها ليست أول مرة
بأمرنى فيها بتصوير مثل هذه الوثائق و

قاطعته المدير في ذهول :

— ليست أول مرة ؟! .. هل تعنى أنك فعلت هذا من قبل ؟

لوح الشاب بكفيه ، وكأنه يدافع عن نفسه ، هاتفاً في
خوف :

— مرتين أو ثلاث مرات على الأكثر ياسنيور .. أقسم لك .
سأله المدير في خشونة :

— ولماذا كنت تفعل ذلك ؟

بدا صوت الشاب مرتعداً ، خائفاً ، وهو يقول :

— ليس هذا من شأني ياسنيور .. كنت أحصل على
الصور ، وأسلمها إلى سنيور (جروشو) ، أو سنيورا
(سونيا جراهام) و

قاطعته المدير في توتّر :

— من (سونيا جراهام) هذه بحق السماء ؟

مال نحوه أحد رجاله ، وهمس :

— لقد تلقينا بلاغاً من مجهول هذا المساء ، يدعى انتاءها
إلى (الموساد) ياسيدى ..

شحب وجه المدير ، وهو يتف في ذهول :

— (الموساد)؟؟ يا للسماء !!

ثم التفت إلى أحد رجاله ، وقال :

— يبدو أن الأمر أخطر من كل ما كنا نتصوّر يارجال ..

إن تورّط (المافيا) مع (الموساد) أمر خطير .. خطير للغاية .

ثم أردف في صوت مرتجف :

— يبدو أننا سنضطر إلى شنّ الحرب على (المافيا) علانية
هذه المرّة ، وليرحم الله هذه المدينة .

* * *

تطلّعت (منى) إلى ساعتها في قلق ، ثم التفتت إلى
(قدرى) ، الذى يجلس هادئاً إلى جوارها في سيارته ، وقالت
في توأثر :

— العاشرة وعشر دقائق .. ترى ماذا يفعل (أدهم) في
هذه اللحظة ؟

أجابها (قدرى) في توأثر مماثل :

— لا ريب أنه الآن يؤدى دوره في براعة ، متظاهراً
بالخوف والاستسلام ، أمام رجال مكتب مكافحة
التجسس ، الذين سيعتصرونه اعتصاراً .
تبدى الحزن في عينها ، وهى تقول :

— إنه يعرّض نفسه لمخاطرة شديدة هذه المرّة ، فتوريط
نفسه عمداً في قضية تجسس ليس بالأمر الهين .

ارتجف صوت (قدرى) ، وهو يقول :

— هذا دأبه يا (منى) .. يلوح لى في بعض الأحيان أنه
يهوى الخوض في قلب الخطر ، ولكنه يعلم دائماً مايقعله .

ثم أردف بصوت أشدّ ارتجافاً :

— ولكن هذا لايعنى من الخوف بشدة هذا المساء ..
إننى حتى فقدت شهيتى تماماً .

خيم الصمت عليهما لحظة ، ثم سأله (منى) :

— تترى ماذا يفعل (فايو) و (صوفيا) في هذه اللحظة ؟
مطّ (قدرى) شففيه ، وقال :

— (صوفيا) تعدّ بعض الطعام ، وتمتئى نفسها بعودة
(أدهم) سالمًا ، أمّا (فايو) فقد ذهب إلى صحيفته و....
قاطعه (منى) في دُعر :

— إلى صحيفته؟! .. كيف يفعل هذا دون استشارة
(أدهم)؟! .. ألا يعلم أن أحقر رجال (المافيا) يعلم أنه الخيط
الوحيد ، الذى يقودهم إلى (أدهم) ؟
ثم أردفت في غضب :

— يا إلهى !! .. ماذا نفعل الآن ؟.. هذا هو عيب العمل
مع الهواة .

تفجّر القلق في وجه (قدرى) ، بعد أن تبّه إلى فداحة
الأمر ، وغمغم في صوت محتق :

— ليس أمامنا ما نفعله يا (منى) ، فسلامة (أدهم)

تضطرنا إلى عدم التحرك من هنا .. كل ما يمكننا فعله هو أن ندعو الله (سبحانه وتعالى) أن يمز الأمر بسلام .
أطرقت (منى) برأسها ، وقالت لى ألم :
— نعم يا (قدرى) .. هذا كل ماملك فعله .

العاشرة والرابع :

توقفت واحدة من سيارات الأجرة ، أمام مبنى الصحيفة التى يعمل بها (فايو) ، وهبط هو منها ونقد سائقها أجره ، وأضاف إليه بقشيشًا محترمًا ، قبل أن يتطلع إلى المبنى لى سعادة وحنان ، كعاشق طال غيابه عن محبوبه ، ثم تقدم نحو المبنى بخطوات سريعة .. وقبل أن يصل إليه ، اعترض طريقه فجأة رجل ضخيم ، وقال لى خشونة :
— سنيور (فايو) حسبًا أعتقد .

سرى القلق بسرعة لى عروق (فايو) وصوته ، وهو يقول :

— إنه أنا .. ماذا تريد ؟

فجأة .. ارتفع مسدس ضخم لى وجهه ، وسمع الرجل يقول :

— سنذهب معًا لى رحلة قصيرة .

تراجع (فايو) لى دُعر ، ونقل بصره لى لهفة لى حارس مبنى الصحيفة ، الذى أشاح بوجهه وكأنه لم يَر شيئًا ، لى حين واصل الرجل تقدمه نحو (فايو) ، متابعا :
— سنستقل معًا تلك السيارة السوداء ، التى تقف هناك

و

اندفع (فايو) فجأة يجرى ، محاولًا الوصول لى مبنى الجريدة ، ولكن حارسها اعترض طريقه ، وقال لى خشونة :
— أوراقت ياسنيور .

هتف (فايو) لى دُعر :

— أفسح الطريق يارجل .. ألا ترى أن ... ؟

وقبل أن يتم عبارته ، هوت ضربة قوية على مؤخرة عنقه ، فترجح ، ومادت به الأرض ، وبدت له أضواء المبنى تحبوا وتتضاءل ، ثم ساد ظلام تام .

العاشرة والنصف :

ارتجف جسد (فايو) ، واستيقظ عقله دفعة واحدة ، حينما ارتطمت كمية من الماء المثلج بوجهه ، ففتح عينيه لى



ظهر الغضب على وجه (سونيا) ، وأسرعت تلتقط مطرقة ضخمة ،
لأوحت بها في وجه (فايو) ..

صعوبة ، ليطالعه وجه (سونيا جراهام) ، التي نفتت ذُخان
سيجارتها في وجهه ، وهي تقول في برود :

— أين (أدهم صبرى) ياسنيور (فايو) ؟

أعاد ذكر (أدهم) إلى (فايو) رباطة جأشه ، فغمغم
وهو يقاوم اللذوار الذي يشعر به :

— من هو (أدهم) هذا ؟

صرخ في ألم ، حينما أطفأت (سونيا) سيجارتها بهدوء
كامل في راحته ، وكشف في هذه اللحظة فقط أنه مقيد
بإحكام في مقعد ضخم ، وشعر بالدماء تتجمد في عروقه ،
حينما عاودت (سونيا) سؤالها بالبرود نفسه :

— أين (أدهم) يا (فايو) ؟

رفع (فايو) عينيه في ألم ، يتأمل (سونيا) ، والرجل
القصر الذي يقف إلى جوارها ، قبل أن يغمغم في ضعف :

— صدقيني ياسنيورا .. إنسى لا أعرف من (أدهم

صبرى) هذا .

ظهر الغضب على وجه (سونيا) ، وأسرعت تلتقط
مطرقة ضخمة ، لأوحت بها في وجه (فايو) ، وهي تصرخ في
غضب :

— هل تريد الاحتفاظ بأصابعك سليمة يا (فايو) ؟ ..
— أخبرني أين (أدهم صبرى) ، أو أحطمها كلها ؟
ارتجف جسد (فايو) رعبًا ، ولكنه تماسك وهو يقول :
— لست أعرف من يدعى ؟ ..

قبل أن يم عبارته ، هوت (سونيا) بالمطرقة في غضب على
يده اليسرى ، وارتج المكان بصرخة الألم والدُعر ، التى
انطلقت من بين شفتى (فايو) ، عندما تحولت كفه اليسرى
إلى كؤفة من اللحم المقرى ، والعظام المهشمة ، وصرخ فى
الم :

— أيها الوحوش .
عقد الرجل القصير ، الذى يقف إلى جوار (سونيا)
حاجبيه ، وقال :

— كفى يا (سونيا) .. أنت تتأدين كثيرًا هذه المرة ،
هذا يفوق ما فعلناه فى (ديريس) .
صاحت (سونيا) فى غضب :

— سيتكلم هذا الرجل يا (كاهان) .. سيخبرني أين
(أدهم صبرى) ، وإلا سأحطم كل عظمة فى جسده ،
وأمزق كل قطعة لحم فيه .

أطبق (كاهان) شفتيه فى حق ، فى حين التفتت
(سونيا) إلى (فايو) ، وصاحت فى قسوة ، لاتساق
وملامحها الفاتنة الرقيقة :
— أين (أدهم صبرى) يا (فايو) ؟ .. أجب قبل أن
أحطم عظامك كلها .

تحول جسد (فايو) إلى قطعة من الثلج ، من شدة الألم
والخوف . وتطلع إلى المطرقة الضخمة فى رعب ، وهو يستعيد
كل لحظة له مع (أدهم صبرى) ..
مع الرجل الذى أصبح محور حديث المدينة كلها ..

اختلطت فى رأسه ذكري إنقاذ (أدهم) لحياته ، بالألم
الذى أصابه من تهشم كفه اليسرى ، واختلط فى قلبه الألم
والخزى ، وفى جحش مشاعره ، رفعت (سونيا) المطرقة مرة
ثانية ، وهى تصرخ فى غضب :

— أين هو يا (فايو) ؟
— وصرخ (فايو) :
— لا .. سأخبرك بما تريد ، ولكن لا تضربى مرة
أخرى .. أرجوك .

وسالت دموع القهر والألم من عينيه ، وهو يطرق مستطرذا :
— سأخبرك بكل شيء .. وليغفر لى الله .

٨ - الهجوم المزدوج ..

العاشرة وخمس وثلاثون دقيقة :

— تعلق بصر (منى) و (قدرى) بالطريق في صمت ، وبدت لهما الدقائق وكأنها تستغرق دهوراً ، حتى هتفت (منى) ، وهي تزفر في ضيق :

— يا إلهي !!... ألم ينته التحقيق معه بعد ..؟ متى يقررون نقله إلى الحبس الاحتياطي ؟

أجابها (قدرى) ، دون أن يستطيع إخفاء توتره في هذه اللحظة :

— كان (أدهم) يعلم أن الأمر سيستغرق وقتاً طويلاً يا (منى) ، ولكنه أعد خطة هربه في مهارة .. فهذا الطريق الوحيد ، الذي يمكن اتخاذه من وزارة الدفاع الإيطالية ، إلى مكتب مكافحة التجسس ، حيث سيحفظون به ولا يرب ، واعتقد أن منطقته مقبول في أنه سيكون داخل السيارة الوسطى ، تتقدمه سيارة حراسة ، وتبعتها أخرى ، وكل ما علينا هو قطع

الطريق بعد مرور السيارة الأولى ، وعليه هو بمعاونتك إكمال الأمر ، فبدانتى لن تسمح لي به

قاطعته (منى) في ضيق :

— كفى يا (قدرى) .. لقد راجعنا هذه الخطة عشرات المرات ، حتى سئمت ترديدها .

ثم أردفت في صوت مرتجف :

— المهم الآن هو تنفيذها .. ونجاحها ، وإلا فقدنا (أدهم صبرى) إلى الأبد .

العاشرة وأربعون دقيقة :

أشعل (كاهان) سيجارته ، ونفت ذئخاتها ، وهو يلوّح بكفيه في عصية ، قائلاً :

— لست أصدق كلمة واحدة مما نطق به هذا الصحفي الخرف .

قالت (سونيا) في انفعال ، وهي تتأكد من وجود رصاصتها الذهبية في مسدسها :

— بل ينبغي لك أن تصدق كل كلمة يا (كاهان) ، فمن المستحيل على رجل تعرض لكل هذا العذاب ، أن يتكرر في

لحظات لحظة منمقة ذكية كهذه ، تؤكد معرفته بالجهة التي
تنتمي إليها ، وبأسلوب (أدهم صبرى) في الوقت ذاته .
ثم دسّت المسدس في حزامها ، وهي تردف في خنق :
— ثم إن هذه الحطة الجريئة تحمل توقيع (أدهم صبرى)
ولاريب .

قال (كاهان) وهو يتابعها في قلق :

— في هذه الحالة ، لا بد لنا من الانسحاب من العملية
فوراً ، فمخابراتنا لن تسمح بالتورط في قضية تجسس ، من
أجل رجل واحد ، حتى ولو كان هذا الرجل هو (أدهم
صبرى) نفسه .

زججرت (سونيا) ، وقالت في غضب :

— فلتذهب مخابراتنا إلى الجحيم يا (كاهان) .. سأقتل
(أدهم صبرى) ، ولو كان هذا آخر ما أفعله في حياتي ..
سأقتله قبل أن يتنصف الليل .

صاح (كاهان) في غضب :

— إنني أمنعك من المخاطرة يا (سونيا) .

ابتزعت (سونيا) مسدسها في سرعة البرق ، وصوبته إلى
زميلها ، وهي تقول في غضب :
— حاول يا (كاهان) .

توثرت عضلات (كاهان) ، وقال وهو يضغط أسنانه في
عصية :

— سأبرق إلى مخابراتنا على الفور .. إنك ترتكبن أكبر
خيانة في حياتك يا (سونيا) .

هزت كفتها في لامبالاة ، وقالت :

— الفعل ما يجعلك يا (كاهان) ، ولكنني سأرسل جنه
(أدهم صبرى) إلى مخابراتنا في صندوق ديبلوماسي ، قبل أن
تشرق شمس الغد .

وتغلبت شرستها على رقة ملامحها ، وهي تردف في سخط :
— أقسم لك .

* * *

الحادية عشرة تماماً :

صاقت خذقتا (منى) ، وهتفت في انفعال ، وهي تشير
إلى مجموعة من الأشخاص تقترب في سرعة :
— لقد وصلوا يا (قدرى) .. اسعد ، فستقاتل هذه
المرة من أجل (أدهم) .

أدار (قدرى) محرك سيارته ، وقال في انفعال مماثل :

— إنني أتوق لذلك يا (منى) .
وفجأة .. ارتفع في المنطقة صوت طلقات ناريسه ،

واندفعت سيارة تعرض طريق سيارات رجال مكافحة
التجسس الإيطاليين ، الذين ينقلون (أدهم صبرى) إلى
مقرهم . وبدا وكأن معركة شرسة قد اندلعت فجأة ، على
بعد أمتار كثيرة من سيارة (قدرى) و (منى) ، فصاحت في
ذعر :

— يا إلهى !! .. هناك من يحاول انتزاع السُّق منا
يا (قدرى) .. أسرع .. أسرع قبل أن نخسر كل شيء .

كان (أدهم) يجلس هادئاً مسترخياً ، بين اثنين من رجال
مكتب مكافحة التجسس الأشداء ، في حين كانت عضلاته
تستعد للعمل ، وهو ينتظر الوصول إلى نقطة اللقاء ، التى
أعدها مسبقاً ، بالاتفاق مع (منى) و (قدرى) ، ولكنه
فوحى بالسيارة السوداء ، التى اعترضت الطريق ، وبوابل
النيران ، الذى سقط فجأة على سيارات رجال مكافحة
التجسس الثلاث ..

كان الأمر عنيقاً مفاجئاً ، ولكن (أدهم) عرف منذ
اللحظة الأولى ، أنها ليس الحُطَّة التى أعدها ، ولم يكن الأمر
يحتاج إلى ذكاء نادر لاستنتاج طبيعة المهاجمين .

كان من الواضح أن حُطَّته قد كشفت بواسطة ما ، وأن
مهاجميه من رجال (المافيا) ، أو (الموساد) ، أو كليهما ، وأن
عليه فى كل الأحوال أن يحاول الفرار ..

وفجأة .. نفض (أدهم) ذلك الخنوع ، الذى تظاهر به
طويلاً ، ودفع رجل مكافحة التجسس إلى يمينه ، وهو يقول
فى سخرية :

— معذرة يا صديقى ، لقد تبدلت الأمور .

احتار رجال مكتب مكافحة التجسس ، بين صدِّ ذلك
المهجوم المباغت ، ومحاولة منع (أدهم) من الفرار ، ولم
يذهلهم الهجوم بقدر ما أذهلتهم تلك الجسارة المفاجئة ،
والمرونة المذهلة ، التى انبعثت فجأة فى جسد أسيرهم ، الذى
قفز من السيارة فى رشاقة ، واستقبل أحد رجال (الموساد)
بلكمة قوية ، ثم التقط مدفعه الرشاش قبل أن يسقط على
الأرض ، وأطلق منه النار على المهاجمين ..

ازداد دھول رجال مكتب مكافحة التجسس ، وهم
يتساءلون إلى أى جانب يحارب (أدهم) ، ووصل دھولهم إلى
ذروتهم ، حيناً رأوا فتاة رائعة الجمال ، باللغة الرُّقة ، تندفع
وسط النيران المتبادلة فى جسارة مذهلة ، وتصوب مسدساً

ذهبنا صغيراً إلى قلب (أدهم) ، وتصرخ في هجة أقرب إلى الجنون :

— الوداع يا (أدهم صبرى) .

كان رجال (الموساد) قد سيطروا على الموقف تقريباً ، وأجبروا رجال مكتب مكافحة التجسس المذهولين على الاستسلام ، إلا أن هذا بدا عديم التأثير على (أدهم) ، الذى تحركت قدمه فى سرعة مذهلة ، لترك كل المسدس الذهبى ، ثم قفز يلقظه من الهواء ، وهو يقول فى سخرية :

— لم يكن وقت الوداع بعد يا عزيزتى (سونيا) .

وفجأة .. اندفعت سيارة فاخرة وسط الأحداث ، وصاحت فتاة حسناء من داخلها :

— أسرع يا (أدهم) .

لم تتوقف السيارة ، ولم تخفض من سرعتها ، ولكن (أدهم) بدا مذهلاً من سرعة استجابته ، وفى قفزه المدهشة ، التى ألفت به فوق سقف السيارة ، التى انحنت بغتة فى طريق جانبي ، وامتزجت صرخة القهر التى أطلقتها (سونيا) بتلك الضحكة الساخرة ، التى جمدت الدم فى عروق الجميع ، والتى أطلقها (أدهم صبرى) ، قبل ان

تختفى السيارة فى الطرق المتشابكة .. وفى لحظة واحدة اندفع رجال (الموساد) إلى سياراتهم ، وعلى رأسهم (سونيا) ، وانطلقت السيارات تحاول اللحاق بسيارة (قدرى) ، التى تحمل خصمهم اللدود ..

توقفت المعركة فجأة كما بدأت ، وتبادل رجال مكتب مكافحة التجسس نظرات مذهولة ، قبل أن يفهم المدير فى شحوب :

— ما الذى يحدث ؟! .. إننى لم أعُد أفهم شيئاً .

لم يستطع أحدهم إجابته ، من شدة الذهول الذى سيطر عليهم ، فعقد حاجبيه فى غضب ، وقال فى صرامة :

— أعقد أننا سنذهب من فورنا لزيارة (جروشو مانباى) يا رجال .. فهو يدين لنا بتفسير لكل هذه الأحداث العجيبة ، وسيدلى بتفسيره ، ولو اضطرت لهدم قصره على رأسه ، الذى يمتلئ بالغرور والغطرسة .

* * *

تجاوزت (سونيا جراهام) فوق مقعد واسع ، ودفنت وجهها بين كفتيها ، وانخرطت في بكاء حار ، في حين أخذ (كاهان) يتحرك حولها في عصبية ، وهو يقول في غضب :

— لقد حذرتك يا (سونيا) .. حذرتك من ارتكاب هذه الحماسة .. وهاهوذا الشيطان قد نجح في الفرار منك ، وتسرعت أنت في قتل ذلك الصحفي ، بعد أن أدلى باعترافه ، فلم نعد نستطيع أن نعرف منه المكان ، الذي يختبئ فيه (أدهم صبرى) .. لقد هزمك الشيطان المصرى .. هزمك هزيمة منكورة .

قالت (سونيا) ، وهي تبكي في حرارة :

— لقد أخذ مسدسى ، وخصصتني الذهبية .

تطلع إليها (كاهان) لحظة في دهشة ، ثم عاد يهتف في سخط :

— فلتنذهب رصاصتك الذهبية إلى الجحيم يا (سونيا) ..

المهم الآن أن نسارع بتحويلك إلى دولتنا ، فقد رأى رجال مكتب مكافحة التجسس وجهك في وضوح ، وسينبشون الأرض بحثاً عنك بعد قليل ، ما لم يكونوا قد بدءوا بالفعل .
صاحت (سونيا) في تشنج :

— هل تريد منى أن أترك رصاصتى الذهبية في يد ذلك الشيطان ؟

عقد (كاهان) حاجبيه ، وهو يقول في صرامة شديدة :
— ستركين كل شيء يا (سونيا) .. إننى أحمل هذه المرة أمراً من مدير مخابراتنا يعودتك فوراً .
ثم أردف في خنق :

— لقد قلنتها بنفسك من قبل يا (سونيا) .. لا يوجد جهاز مخابرات واحد في العالم ، يمكنه أن يضحى برجاله وقدراته وأمواله ، في سبيل عملية انتقامية ، خاصة أن الشخص الذى تسعين خلفه لم يعد من رجال المخابرات المصرية بعد .

جمدت الدموع في عيني (سونيا) ، وغمغمت في ألم :
— وماذا لو قلنا إنك لم تجد الوقت الكافى لإبلاغى هذا الأمر ؟

قال (كاهان) في صرامة :

— كلاً يا (سونيا) .. ستعودين الآن إلى دولتنا ..
وسيكون علينا أن نحني رؤوسنا هذه المرة أيضاً ، ونعترف
بالمهزيمة .

عادت الدموع تسيل من عيني (سونيا) ، وهي تقول :
— نعرف بالمهزيمة !؟

عاد (كاهان) بعقد حاجبيه ، ويقول في صرامة :

— هناك مقعد ينتظر في الطائرة ، التي ستقلع إلى دولتنا
بعد قليل يا (سونيا) .

هضت (سونيا) في ضراعة :

— أرجوك يا (كاهان) .

أجابها في صرامة لا تقبل الجدل :

— الآن يا (سونيا) .

عاد الغضب يكسو ملامحها ، ونهضت وهي تقول :

— حسناً يا (كاهان) .. سأرحل .

ثم أردفت في سخط وشراسة :

— ولكن جولاق مع (أدهم صيرى) لم تنته بعد ، ويوماً
ماسأقلته .. نعم يا (كاهان) .. سأقلته .

ابنسم (أدهم) في سخرية ، وهو يتأمل الرصاصة
الذهبية ، التي أخرجها من مسدس (سونيا) ، وقال :

— يا للسخرية !! لقد صنعت (سونيا جراهام) رصاصة
ذهبية خصيصاً من أجل ، ياله من تقدير عاطفي !!

غمغمت (منى) في ضيق :

— (سونيا جراهام) لا تدرى شيئاً عن العواطف .. إنها

ألمى جميلة المظهر ، قاسية الخبر .

ضحك (أدهم) وهو يقول مداعباً :

— ولكنها أهدتني رصاصة من الذهب الخالص يا عزيزتي .

ثم التفت إلى (صوفيا) ، وقال :

— أليس كذلك يا عزيزتي (صوفيا) ؟

وعقد حاجبيه ، وهو يستطرد في قلق :

— لم تبدين ملتاعة إلى هذا الحد يا (صوفيا) ؟

غمغمت (صوفيا) في قلق واضح :

— (فايو) لم يعد حتى الآن .

قفز (أدهم) من مقعده ، وهتف في دهشة :

— لم يعد !؟ .. لم لم يخبرني أحدكم بأنه غادر المنزل ؟ لقد

كنت أظنه مستغرقاً في النوم .

لم أشأ إرهابك ، فأنتيت إليك بنفسى ، وأراهنك أن هناك عنق
سيتحطم هذا المساء ، ولكننى أشك أن أنه عنقى باشيطان
(المافيا)



ثم أردف لى قلقى :
— ياإلهى !!.. هذا إذن هو تفسير معرفة (سونيا)
ورجال (الموساد) لخطأنا .. ياإلهى !!.. لقد أوقعوا به .
هتف (صوفيا) فى رغب :
— إنه لن يثنى بنا إلا إذا عذبوه فى قسوة .. ربناه !!
(فايو) المسكين !!

عقد (أدهم) حاجبيه فى غضب ، وعاد قلبه يبيض
بالرغبة فى الانتقام ، وهو يقول فى برود مخيف :
— لو أنهم مسؤواشعرة واحدة من رأسه فسيدفعون الثمن
غالياً يا (صوفيا) ، حتى ولو اضطرتت لتحطيم عنق
(جروشو) و (سونيا) قطعة قطعة .

وفجأة .. تحطم باب المنزل ، واندفع عشرة من رجال
(المافيا) إلى الداخل ، وقبل أن يتحرك (أدهم) حركة
واحدة ، ارتفعت قوّهات المدافع الرشاشة العشرة فى وجهه ،
وعبر (جروشو مانىالى) باب المنزل فى خطوات هادئة
بطيئة ، ثم أشعل سيجارته فى غطرسة ، وابتسم ابتسامة
شامخة ، وهو يقول فى هدوء :
— هاهو ذا عنقى رهن إشارتك يا ستبور (أدهم) ، إننى

١٠ - وتحطم قلب ..

انسعت عينا (صوليا) في رعب ، وتوترت أعصاب
(منى) و (قدرى) ، في حين عقد (أدهم) ساعديه أمام
صدره ، وقال في صرامة وبرود :

— أين (فايو) يا (جروشو) ؟

ابتسم (جروشو) ، وقال في هدوء :

— دون (جروشو) ياسنيور (أدهم) ، هذا هو

اللقب ، الذي بناهيني به الجميع .

ثم أردف ، وهو ينفث دُخان سيجارته في برود :

— لقد طردت (سونيا) من قصرى ياسنيور (أدهم) ،

ربما كان هذا الأمر عجيبًا ، ولكننى أراهن أنك كنت تتوقعه ،

منذ بدأت خططك لكشفها .

ظلت ملامح (أدهم) صارمة جامدة ، في حين ثوح

(جروشو) بكفه في حركة متعطرسة ، وتابع :

— ولقد كنت أتوقع بالطبع أن (سونيا) لن تستسلم ،

فاشتريت أحد رجالها بمبلغ يُسبِّل اللُعباب ، وطلبت منه أن
يخبرني بكل خطوة تخطوها تلك القاتلة الشرسة ، وكان الرجل
مطيعًا للغاية ، ونال مكافأة ضخمة حينما نقل إلى اعترافات
ذلك الصحفى المسكين ، وتركت أنا (سونيا) مخاطر
بالحصول عليك ، واكتفيت بمراقبة المعركة ، ورأيتك تفر في
مهارة مذهلة ، فبعثت إلى هنا و

قاطعه (أدهم) في برود :

— أين (فايو) يا (جروشو) ؟

ابتسم (جروشو) في سخريه ، وقال :

— لقد رحل إلى حيث الراحة الأبدية ياسنيور

(أدهم) ، ولكن لا تقلق .. سرعان ما نلتقون به جميعًا ، في

جنا الأحياء .

شهقت (صوليا) وهى تهتف في ألم :

— (فايو) !!

وتفجّر بركان من الغضب من أعماق (أدهم) ،

واندفعت جمه في عروقه ، لصرخ في صوت ارتجفت له

(روما) كلها :

— أيها الأوغاد !!

ثم انطلقت قبضته كالثبلة ، في وجه أقرب رجال
(الماليا) إليه ..

توافق رائع ذلك الذي بنشأ بين المراد الخبايرات ، حينما
يعرف كل منهم الآخر جيدًا ..

لم يكذب (جروشو) يتحدث بسخريته السخيفة عن مصرع
(فايو) ، حتى توقع (قدرى) و (منى) ما يمكن أن يفعله
(أدهم) ، واستعد كل منهم لمعاونته فورًا .. ولم يكذب هو بحظم
وجه أول رجال (الماليا) ، حتى ركلت (منى) وجه رجل
ثان ، وألقى (قدرى) جسده البالغ البدانة فوق ثالث ، وهو
يقول في سخرية :

— معذرة أيها الوغد .. هل يضايقك ثقلى ؟

أما (أدهم) نفسه ، فقد انطلق كقبلة موقوتة ، انفجرت
فجأة وسط حشد من الناس ، فركلت قدمه إحدى المدافع
الرشاشة ، وأطاحت قبضته بآخر ، وهشمت قبضته الأخرى
أنف رجل ، وأطاحت قدمه الثانية بأسنان آخر ..

كان كالإعصار في هجومه ، وكالعاصفة في قتاله ..

تراجع (جروشو) في ذهول أمام المفاجأة ، ثم نفص

ذهوله في سرعة ، وأسرع ينتزع مسدسه ، ويصوبه إلى
(أدهم) مغممًا :

— يا للشيطان !!

رأت (صوفيا) (جروشو) ، وهو يصوب مسدسه إلى
(أدهم) ، ورأت (أدهم) و (منى) و (قدرى) يُولونه
ظهورهم ، وانفض قلبها ، وهي تتصور نفسها تفقد الرجل
الذي احتل قلبها ، بعد أن فقدت رفيق عمرها ، فانقضت على
(جروشو) ، وهي تصرخ :

— كلاً .. إنك لن تفعل ..

وانطلقت رصاصة (جروشو) ..

انطلقت لتستقر في قلب (صوفيا) ، التي غاضت الدماء

من وجهها ، وترثعت ، قبل أن تهوى أرضًا ..

أدارت الرصاصة رأس الجميع إلى مصدرها ، ورأوا
(جروشو) وهو يندفع هاربًا ، فدار (أدهم) على عقبيه في
سرعة ، وحطم فك آخر رجال (الماليا) ، ثم قفز إلى حيث
سقطت (صوفيا) ، وهو يهتف :

— لن أسمح لهذا الوغد بالإفلات ..

هتفت (منى) في ألم ، وهي تعود من النافذة :

— فات الوقت يا (أدهم) .. لقد كانت هناك سيارة
تنتظره ، انطلقت في سرعة ، بمجرد أن قفز داخلها .
ضغط (أدهم) أسنانه في غضب ، وانحنى يحنو
(صوفيا) بين ذراعيه ، فتطلعت إليه بعينين ذابلتين ،
وابتسمت في صعوبة ، وهي تقول بصوت شاحب :
— لقد فعلت هذا من أجلك .

أجابها (أدهم) في حنان ، وحزن :
— أعلم ذلك يا (صوفيا) .
عادت تغمغم وهي تعاني سكرات الموت :
— لقد كنت أتمنى أن أحميا إلى جوارك ، ولكن (منى)
أفضل منى .

مس (أدهم) شفيتها بأنامله في رقة ، وغمغم في ألم :
— لا تتحدثي كثيرا يا (صوفيا) .
أزاحت أنامله عن شفيتها في حنان ، وهمست ، وصوتها
يزداد خفوتا وضعفاً :

— بل دغنى أتحدث إليك في لحظةاتي الأخيرة
يا (أدهم) .. كنت أتمنى دوماً أن أخيرك أنتى .. أنتى
قاطعها (أدهم) في حنان :



وانطلقت رصاصة (جروشو) ..
انطلقت لسفتر في قلب (صوفيا) ، التي غاضت الدماء من وجهها ..

— لقد كنت أعلم ذلك يا (صوفيا) ، وأشعر به دائماً .
أفتر ثغرها عن ابتسامة شاحبة ، وغبا بريق عينيها ، وهي
تقول في ضعف ، وإن نمّ صوتها عن الارتفاع :
— هذا يكفيني يا (أدهم) .. يكفيني تماماً .
ثم أسلمت الروح بين ذراعيه ..

بكت (منى) في حمارة ، وسالت دموع (قدرى) في
صمت ، في حين حمل (أدهم) جسد (صوفيا) ، وأرقدها
فوق فراشها في حنان ، ووقف يتطلع إليها لحظة ، ثم غادر
حجرتها ، وفتح درج مكتبه ، والتقط منه مسدس (حازم) ،
فأفرغه من الرصاصات ، ووضع في ماسورته رصاصة
واحدة ..

نفس الرصاصة الذهبية ، التي انتزعها من مسدس
(سونيا) ..

سأته (منى) في قلق :

— ماذا تنوى أن تفعل يا (أدهم) ؟

دس المسدس في حزامه ، وتجاهل سؤالها وهو يقول في
صرامة :

— انطلقا أنت و (قدرى) إلى المطار يا (منسى) ،

واحجزا الثلاثة مقاعد على ظهر الطائرة ، التي تنادر (روما)
إلى القاهرة فجر اليوم ، وانتظرا في حين ألحق بكما هناك ،
ولرحل معا من هذا المكان .

عادت تسأله في إصرار :

— ولكن ماذا ستفعل ؟

أجاب وهو يتحرك نحو الباب في خطوات سريعة :

— سأزور (جروشو) في منزله .

هتف (قدرى) ، وهو يتابعه ببصره في قلق :

— ماذا ستفعل به ؟

توقف (أدهم) لحظة ، ثم استدار إليهما ، قائلاً في حزم
وصرامة :

— سأقتله .

ثم اختفى خلف الباب ، قبل أن ينطق أحدهما بحرف
واحد .

١١ - زيارة ليلية ..

اندفعت سيارة (جروشو مانيالى) إلى ساحة قصره ،
وتوقفت أمام القصر الشاهق الجديد ، وقفز هو منها وهو يهتف
ساختطاً :

— أما لهذا الشيطان من نهاية ؟ .. ألا توجد وسيلة واحدة
للقضاء عليه ؟

أسرع إليه أحد رجاله ، وقال فى قلق واضح :

— هناك من ينتظرك بالداخل يا (دون) .

تطلع إليه (جروشو) فى مزيج من الدهشة والقلق ،
وقال :

— ومن ينتظرنى فى مثل هذا الوقت المتأخر ؟ .. لقد تجاوزت
الساعة الثانية صباحاً .

أجابته الرجل فى اضطراب :

— إنه مفتش البوليس (مارشيللو) ، ومعه عدد من
الرجال ، يقولون إنهم أفراد مكتب مكافحة التجسس .

عقد (جروشو) حاجبيه فى دهشة ، وغمغم :

— مكافحة التجسس !؟

ثم أردف فى غضب :

— يبدو أن هذا الشيطان قد نجح فى قلب الدنيا على
رءوسنا .

وأسرع بخطوات واسعة سريعة إلى حجرة مكتبه ، وتوقف
بها لحظة ، يتأمل الرجال الذين يملئونها ، قبل أن يغمغم فى برود :

— مرحباً بكم أيها السادة .. أى ربح أتت بكم فى مثل هذا
الوقت ؟

ابتسم المفتش (مارشيللو) فى سخرية ، فى حين عقد مدير
مكتب مكافحة التجسس حاجبيه ، وقال فى صرامة :

— لدينا عدد من الأسئلة ، نريد إجابتك عنها ياسنيور
(جروشو) .

لوح (جروشو) بذراعه فى غضب ، وقال :

— ليس الآن يا رجل .. إننى متعب ، وأريد أن أذهب
لفراشى على الفور .

استدار وكأنه يهيم بالانصراف ، إلا أن المدير صاح فى
صرامة :

— قف يا (جروشو) .

التفت إليه (جروشو) في دهشة ، فتابع المدير في غضب :

— الموقف هذه المرة لا يسمح بالانتظار ، ولن نتسامح فيه أبداً .

سأله (جروشو) في عصبية :

— ماذا تريد يا رجل ..؟ إننى مواطن شريف ، لا أعترف

القانون أبداً و

قاطعته المفتش (مارشيللو) في سخريته :

— تقصد أنك لا تتسرك دليلاً عندما تفعل ياسنيور

(جروشو) .

ظهر الغضب على وجه (جروشو) ، وقال المدير في

صرامة شديدة :

— لقد ألقينا القبض على رجل ، حاول تصوير وثائق

وزارة الدفاع السريّة يا (جروشو) .

هتف (جروشو) في غضب :

— وما شأنى بهذا ؟

تابع المدير بنفس الصرامة :

— لقد اعترف هذا الرجل قبل أن ينجح في الفرار ، أنه قد

تلقى أوامره منك بالذات يا (جروشو) .

شحب وجه (جروشو) لحظة ، ثم صاح في خنق :

— إنها خدعة .. لا شأن لي مطلقاً بقضايا الجاسوسية ..

لا ولم ولن يرتبط اسمي بها أبداً .

غمغم (مارشيللو) ساخراً :

— لقد ارتبط بالفعل ياسنيور (جروشو) .. لقد أثبتت

التحريات أن الفتاة التي تقبى هنا ، والتي تدعى (سونيا

جراهام) ، هي نفس الفتاة التي عاونت الجاسوس على

الهرب .

هتف (جروشو) في عصبية :

— لقد طردتها .

أوماً المفتش (مارشيللو) برأسه إيجاباً ، وقال :

— نعلم ذلك ياسنيور (جروشو) ، ونعلم أيضاً أنها

غادرت (روما) بجواز سفر ديلوماسى ، قبل أن نوقع بها .

ثم أردف وعيناه تتألقان خيماً :

— هل تعلم إلى أيّة دولة كانت ينتمى جواز السفر هذا

ياسنيور (جروشو) ؟

لوح (جروشو) بكفيه ، صائخًا في عصية :
— هذا لا يعننى .. لقد كانت مجرد ضيفة ، ولم تكذب تجلب
المتاعب حتى أسرع بطردها .

نهض مدير مكتب مكافحة التجسس فجأة من مقعده ،
وتقدم من (جروشو) ، قائلًا :

— اسمع يا (جروشو مانيانى) .. إذا كنت تتصور أنك
تستطيع العبث بأسرار دولتنا كما تعبت بأمنها ، فأنت واهم ..
لقد أبقنا من خيانتك للبلد الذى تقيم فيه ، وحتى لو لم تتوفر
الأدلة ، فلن نسمح لك بالاستمرار فى ذلك .

صاح (جروشو) ، وقد شحب وجهه ، وغاصت منه
الدماء :

— أنتم محظنون .. سأطلب من محامى الخاص مقاضاتكم
هذا الاتهام .

صاح المدير فى غضب :

— أصغ جيدًا يا (جروشو) .. كلنا نعلم أن فرار
الجماسوس ، قبل تدوين أقواله وتسجيلها يمكنه أن يربك ،
ولكننى أقسم أنك لن تستمر فى فعلك الدقء هذا ، حتى ولو
اضطرت لقتلك بنفسى .

اتسعت عيناه (جروشو) فى رغب عجيب ، وهو يتطلع
إلى النافذة ، التى تقع خلف الرجال ، ولم يلبث سر فزعه أن
تبين ، حينما ارتفع من النقطة التى يحذق فيها صوت (أدهم
صبرى) ، يقول فى برود :

— ذغ عنك هذه المهمة ياسيدى .. سأتولأها بنفسى .

ساد الصمت بضخ لحظات ، والجميع يحذقون فى ذهول فى
وجه (أدهم صبرى) ، الذى يصوب إليهم فوهة مدفع
رشاش ، إلى أن هتف مدير مكتب مكافحة التجسس فى
دهشة :

— من أنت ياسنيور ؟ .. ولماذا تقتحم المكان ، وتهددنا
على هذا النحو ؟

أجاب (أدهم) فى هدوء ، لا يخلو من الصرامة :

— ألا تعرفنى ياسيدى ؟ .. أنا الرجل الذى تطلقون عليه
اسم (شيطان المافيا) .
هتف (مارشيللو) فى انفعال ، وعيناه تتألقان فى شدة :

— أنا أعرفك يا شيطان (المافيا) .. إننى أحفظ
صورتك ، منذ ظهرت على شاشة التليفزيون .

كان الانفعال يتملك الجميع ، وهم يتطلعون إلى الرجل ،
الذى شغل (إيطاليا) كلها ، وبدا هذا الانفعال واضحاً في
صوت المدير ، وهو يقول :

— ماذا تريد ياسنيور ؟

أشار (أدهم) إلى (جروشو) ، وقال في صرامة ،
وغضب :

— أريد هذا الوغد ياسيدى .

صاح (جروشو) في عصبية :

— ألا تعرفه أيها المدير ؟ .. إنه الرجل الذى انتحل
شخصية الجاسوس ، في محاولة لتوريطي في الأمر .

نقل الجميع أبصارهم بين (أدهم) و (جروشو) ثم غمغم
المدير في شك وخيرة :

— ولكنه لا يشبه أبداً ياسنيور (جروشو) .

صاح (جروشو) في توثر ، وهو يلقي جسده خلف
مكتبه ، فوق مقعده الأنيق :

— إنه خبير بفن التكرُّر أيها المدير .. تذكر هذا .

انبثق فجأة سؤال في ذهن المدير ، فأسرع يلقيه ، قائلاً :

— كيف وصلت إلى هنا .. يا شيطان (المافيا) ؟

أجاب (أدهم) في حزم :

— لكل وسائله الخاصة أيها المدير .

غمغم (جروشو) في سخرية ، أثارته دهشة الجميع :

— نعم ياسنيور (أدهم) .. لكل وسائله الخاصة .

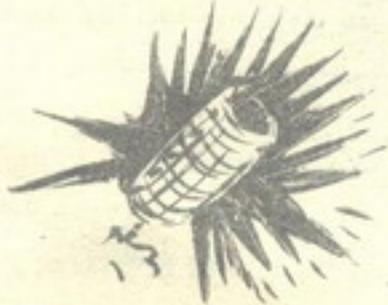
ثم قفز فجأة من خلف مكتبه ، وألقى شيئاً يشبه ثمرة
الأناناس الصغيرة نحو (أدهم) ، وهو يصرخ :

— وهذه وسيلتي ياسادة .

لم يخطئ أحد الحاضرين معرفة ذلك الشيء ، فقفز رجال
مكتب مكافحة التجسس إلى الخلف ، وهتف المفتش
(مارشيللو) في ذهول :

— يا إلهي !! .. إنها قبلة .. قبلة منزوعة القليل ..

سينسفنا هذا الجنون جميعاً .



١٢ - الرصاصة الأخيرة ..

رأى (أدهم) القنبلة، وهي تندفع نحوه، حاملة الموت في طياتها، ورأى (جروشو) وهو ينطلق هارباً من مكتبه، وكان عليه أن يختار، ما بين إيقاف (جروشو)، أو القنبلة ..

وتخذ (أدهم) قراره في سرعة مذهلة ..

نقل المدفع الرشاش إلى يده اليسرى، وقفز في رشاقة يلتقط القنبلة في راحته اليمنى، ثم دار على عقبيه في خفة، وألقى القنبلة من النافذة، واندفع خلف (جروشو)، في نفس اللحظة التي انفجرت فيها القنبلة في حديقة القصر ..

كان (جروشو) يعدو في سرعة مذهلة، وكأنما بعث الرعب في جسده قوة إضافية، وصاح وهو يقفز في سيارته :
— شيطان (المافيا) يطاردني يا رجال .. أوقفوه ..
اقتلوهم جميعاً .

شهر رجال (المافيا) مدافعهم الرشاشة، واندفعوا يسدون الطريق في وجه (أدهم صبرى)، في حين أطلق (جروشو) لسيارته العنان، هارباً من القصر .

ولكن (أدهم صبرى) كان في هذه اللحظة كتلة من الغضب ..

كان غضبه قد أمل عليه قرازاً بالأب يوقفه شيء ..

أى شيء ..

وفوجئ رجال (المافيا) بأنهم لا يقاتلون رجلاً واحداً .. بل كتبة كاملة من المقاتلين الأشداء، أذيت كلها، وصبت في جسد رجل واحد ..

رجل يُدعى (أدهم صبرى) ..

بدا (أدهم) كبطل أسطوري، وهو يتفادى رصاصات رجال (المافيا)، وينطلق نحوهم في جسارة مذهلة، وهو يطلق مدفعه الرشاش في مهارة، وتراجع رجال (المافيا) أمام رجل واحد ..

رجل كالقنبلة ..

لم يكذب صوت الرصاصات يرتفع، حتى صاح مدير مكتب مكافحة التجسس :

— يا إلهي !! إنه قتال عنلى هذه المرة .

انتزع رجاله أسلحتهم، وظهرت الصرامة في ملامحهم، في حين كان (مارشيللو) أول من اندفع خلف (أدهم)، ومسدسه مشهور في يده، وهو يقول في سخرية :

— كم تُمنيت هذه اللحظة ؟

انطلق بدوره يطلق رصاصاته على رجال (المافيا) ،
ورآهم لدهشته يتراجعون أمام (أدهم) ، الذى قفز داخل
سيارة أخرى ، وانطلق بها خلف سيارة (جروشو) ، فاندفع
(مارشيللو) بدوره إلى سيارة ثالثة ، وأطلق النار فى طريقه
على مهاجميه وهشم فك آخر بلكمة ساحقة ، قبل أن يشترك
بدوره فى المطاردة ، تاركًا رجال مكتب مكافحة التجسس
يتبادلون النيران مع رجال (المافيا) ، وهو يحدث نفسه ،
مغمغمًا فى انفعال :

— اشهد حواسك كلها يا (مارشيللو) ، فيبدو أنك
ستشاهد الجولة الأخيرة من ذلك الصراع الرهيب .

مطاردة مجنونة تلك التى دارت فى شوارع (روما) ذلك
المساء ..

كان جروشو ينطلق بأقصى سرعة تستطيع سيارته
الانطلاق بها ، غير مبالٍ بمن يفرون من أمامه ، ومن يرتطم
بهم ، ويلقى بهم على جانبي سيارته ..
وخلفه كان ينطلق (أدهم) فى سرعة خرافية ، وكأنه يجبر

سيارته على تجاوز سرعتها القصوى ، وكان (جروشو) يفسح
له فى الطريق بسيارته ، لينطلق هو فى شوارع حلت من المازة ،
وخلفه ، وعلى مسافة قريبة نوغًا انطلق (مارشيللو) ..
مطاردة ثلاثية عجيبة ، لم يستطع رجال الشرطة أنفسهم
اللحاق بها ، حتى تجاوزت السيارات الثلاث حدود المدينة ،
وانطلقت فى الطريق الخارجى ..

اقتربت سيارة (أدهم) من سيارة (جروشو) ، الذى
حاول عبثًا زيادة سرعته ، ولكن (أدهم) كان يقود كشيطان
ثائر ، ولم تلبث السيارتان أن التقيتا عند أول منحى .

غمغم (جروشو) فى عيظ :

— بالرجل !! أية قوة تلك القادرة على تحطيمه ؟

ثم مال فجأة خارج الطريق ، وسط أطلال أثرية قديمة ،
واندفع بينها قبل أن يُوقف (أدهم) سيارته ، ويعود
للاتطلاق خلفه ..

كان (جروشو) يندفع بين الأطلال ، ويدور حولها فى
مهارة عالية ، تؤكد أنه يعرف المكان ويألفه جيدًا ، فى حين
كان على (أدهم) ان يبطئ من سرعته نسبيًا ، ليتفادى
الارتطام بأى منها ، فتألفت عين (جروشو) فى ظفر ، وهتف
فى شجاعة :



اختفى (جروشو) وسط مبنى نصف متهدم ، فتوقف (أدهم) لحظة ،
 ودار بعينه في أرجاء المكان ..

— هنا تخسر أيها الشيطان .

لم يكذب يم عبارته ، حتى أصدر محرك سيارته حشرجة
 عجيبة ، فانتقلت عيناه في دُعر إلى لوحة الإرشادات في
 السيارة ، وشحب وجهه وهو يغمغم :

— يا للشيطان !! .. لقد نفذ الوقود دون أن أشعر .

قفز من السيارة في دُعر ، وانتزع مسدسه ، وهو يتطلع في
 رُعب إلى أضواء سيارة (أدهم) ، التي تقترب منه في سرعة ،
 ورفع فُوْهة مسدسه نحوها ، وأطلق النار ..

اخترقت رصاصات (جروشو) الزجاج الأمامي لسيارة
 (أدهم) ، قبل أن ينطلق (جروشو) عدوًا وسط الأطلال ،
 فأوقف (أدهم) سيارته ، وقفز منها لينطلق خلفه ..

كان (جروشو) يجري وكأن شياطين الأرض كلها
 تطارده ، وكان (أدهم) يتابعه في إصرار ، فيدور خلف بعض
 الأطلال ، ويقفز فوق بعضها الآخر ، حتى اختفى (جروشو)
 وسط مبنى نصف متهدم ، فتوقف (أدهم) لحظة ، ودار
 بعينه في أرجاء المكان ، ثم عقد حاجبيه ، وغمغم في صرامة :
 — حسناً يا (جروشو) .. لقد اخترت أرض الصراع ،
 وسأختر أنا النهاية .

أخذ (جروشو) يلهث من فرط الانفعال والتعب ، وهو
يخطف خلف أحد حوائط المبنى ، وارتفعت دقات قلبه في قوة ،
وهو يحاول حبس أنفاسه ، ويقبض على مسدسه في توثر ،
هائسا في عصبية :

— أين ذهب هذا الشيطان ؟ .. لقد ساد الصمت في
المكان كله .

وعاد يردف وهو يرتجف غضبا :

— أين ذهب !!!

قفز من مكانه ، وسقط مسدسه بين قدميه ، وجدت
الدماء في عروقه ، حينما سمع صوت (أدهم) الصارم يقول :

— خلفك أيها الوغد .

استدار (جروشو) في رغب ، ورفع ذراعيه إلى أعلى ،
وصاح في صوت مرتجف :

— الرّجحة ياسنيور (أدهم) .. الرّجحة .

لم ينطق (أدهم) بكلمة واحدة ..

وقف ثابتا .. صارمًا .. بصوّب مسدسه إلى
(جروشو) ..

ورأى (جروشو) برودة الثلج في عيني (أدهم) ،

واشتم رائحة الموت من فوهة مسدسه ، فخرّ ساجدا على
ركبتيه ، وضم كفيّيه ، وهنّف في ضراعة :

— أرجوك ياسنيور (أدهم) أنا أكره الموت .

لم يتحرك (أدهم) قيّد أنملة .. ولم تهتز في جسده شعرة
واحدة ..

كان يتذكّر سلسلة الموت ، التي ارتبطت بصراعه مع
(المافيا) ..

تذكّر تحطم كفّ (قدرى) ، ومصراع (حازم) ،

ومقتل (ماستورياني) .. تذكّر موت (فاييو) ، وحنين

عيني (صوليا) ، وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة ..

اختلطت ذكرياته بصرخة (جروشو) :

— لا تقطنى ياسنيور (أدهم) .

وفجأة .. قفز (جروشو) نحو مسدسه ، والنقطة ، ثم

أدار فوهته نحو (أدهم) ، وصرخ :

— سأقتلك أنا .

وشقّ صوت رصاصة سكون الليل ..

رصاصة استقرت بين عيني زعيم (المافيا) ..

بين عيني (جروشو مانيالي) ..

استدار (أدهم) إلى مصدر الصوت في لامبالاة ، ورأى
المفتش (مارشيللو) ، الذى يصوب إليه مسدسًا ضخمًا ،
وقد تألق في عينيه الانتصار .



ولم تخرج عضلة واحدة في جسد (أدهم) ، حينما سقط
(جروشو) صريفًا تحت قدميه .
كل ما فعله هو أنه رفع المسدس ، الذى أطلق منه
الرصاصة إلى عينه ، وتأمله في هدوء .

كان المسدس يحمل اسم (حازم) ، والرصاصة تحمل
توقيع (سونيا جراهام) ..

نعم .. رصاصة (سونيا) الذهبية ، هى التى استقرت في
رأس (جروشو) وسلبته الروح ..

أخيرًا عثرت الرصاصة الذهبية على مستقرها ..
وإلى هدوء عجيب المنحى (أدهم) ، ووضح المسدس
القصارغ ، الذى يتصاعد الدخان من فوهته على صدر
(جروشو) ، واعتدل واقفاً ، ورفع عينيه إلى السماء ، وتعم
في ارتياح :

— فلنستقر روحك في السماء يا (حازم) .. لقد
انتقمت لك .

ابتعث من أمام مدخل البناء المهدم صوت هادئ يقول :
— هذا لا ينفى أن ما فعلته يعدُّ في القانون جريمة قتل
عمد ، مع سبق الإصرار والترصد يا شيطان (المافيا) .

ارتفع صوت المذيع الداخل في مطار (روما) ، يطلب من ركاب الطائرة المتوجهة إلى القاهرة الاستعداد ، وبدأ صوت (منى) مُفعمًا بالقلق ، وهي تقول لـ (قدرى) :

— (أدهم) لم يصل حتى الآن يا (قدرى) .. إننى أكاد أفضى قلبي .

غمغم (قدرى) في صوت يفوقها توترًا :

— سنتظر حتى آخر لحظة يا (منى) .. مَنْ يدري ؟
ترقرقت الدموع في عيني (منى) ، ولوحت بكفها وهي تقول :

— كان ينبغي ألا نطيعه هذه المرة .. فلقد كان يعالى غضبًا شديدًا ، أخشى معه ألا يحسن القتال .
تمم (قدرى) :

— أدهم يقاوم بكفاءة كاملة ، في كل الأحوال .
هفتت (منى) وقد بلغ توترها مبلغه :

* * *

استرخى (أدهم) في المقعد المجاور لـ (مارشيللو) ، الذى انطلق بسيارته في سرعة ، نحو مطار (روما) ، تاركًا (أدهم) نهبًا لأفكار شتى ..

لقد تصوّر ، في البداية أن (مارشيللو) سيلقى القبض عليه ، بتهمة قتل (جروشو مانيانى) ، ولم يكن هذا يعنيه ، بعد أن حقق انتقامه ، ووجه ضربه القاضية الأخيرة لـ (المافيا) ، ولكنه فوجئ بـ (مارشيللو) يعيد مسدسه إلى غمده ، ويقول في حماس :

— هيّا يارجل .. أفضل ما تفعله الآن هو أن تغادر البلاد فورًا .

لم يفهم (أدهم) سرُّ تصرف (مارشيللو) ، خاصة أنه قد كان يعلم أن مفتش الشرطة هذا شديد الإخلاص لعمله .. لم يفهم ، ولكنه لم يعترض ..

كان (مارشيللو) يقوده إلى المطار ، وكأنه يعرف تفاصيل الحُطّة ، التى وضعها (أدهم) لهروب ، بعد انتهاء مهمته .. ظلّ (أدهم) صامتًا ، مسترخيًا ، حتى لاحت أضواء المطار ، فسأل المفتش في هدوء :

— لم فعلت ذلك أيها المفتش ؟

ابتسم (مارشيللو) ، وغمغم :

— هل تقصد لم أعاونك على الفرار ؟

أوماً (أدهم) برأسه إيجاباً ، فعاد (مارشيللو) يتسم ،

ويقول :

— هل جننت يارجل ؟.. أكنت تريد مني أن أتلقى سخط

(إيطاليا) كلها ؟.. كلاً يا صديقي .. إنني لن أحمل على كسفي

عار إلقاء القبض على (شيطان المافيا) ، الذي بعث السعادة

والأمل في قلوب الإيطاليين جميعاً .

ثم أردف في سخرية :

— فيما عدا رجال (المافيا) بالطبع .

غمغم (أدهم) في هدوء :

— أهذا هو السبب الوحيد ؟

امتلاً صوت (مارشيللو) بالحماس ، وهو يقول :

— ألا تدري ماذا فعلت ياسينيور (أدهم) ؟.. لقد

حطمت وحدك أسطورة (المافيا) ، التي أنشأها (دون

كيرليون) على دماء الأبرياء .. أنت وحدك سحقت سلالة

كلها .. (دون ريكاردو) ، (كاميللو) ، (مايكل) ،

(كارلو) .. وحتى الرجل الوحيد من خارج الأسرة ، الذي

كان يمكنه تزعم المنظمة ، لقي حتفه على يديك منذ لحظات ..

لقد حطمت أسوأ أسرة في التاريخ يارجل ، ولم يُعد باقياً من

سلالة (دون كيرليون) سوى ابنته (كارولينا) ، ولا أظن

أنها تصلح للزعامة ..

صمت لحظة ، ثم عاد يردف بمزيد من الحماس :

— لقد مزقت وحدك ذلك الستار الأسطوري الخفيف ،

الذي أحاطت به (المافيا) نفسها على مرّ السنين ياسينيور

(أدهم) .. لقد أثبت أن (المافيا) ليست وحشاً لا يمكن

هزيمته .. لقد أظهرت ضعفها ، وهذا أمر بالغ الأهمية .

غمغم (أدهم) :

— (المافيا) أكبر من أن يهزمها رجل واحد أيها المفتش ..

إن رجالها ينتشرون في قارات الأرض الست .

هتف (مارشيللو) :

— مشوار الألف ميل يبدأ بخطوة ياسينيور (أدهم) ..

ولقد وضعت أنت أقدامنا على الخطوة الأولى .

ثم أردف ، وهو يوقف سيارته في ساحة المطار :

— وصدقتي .. إنها بداية النهاية لـ (المافيا) ، وستبت

لك الأيام حسن تقديري للأمر .

هبط (أدهم) من السيارة ، ووقف لحظة يتأمل المفتش
(مارشيللو) ، ثم مَدَّ يده بصفحة ، وهو يقول :

— كيف يمكنني أن أشكرك ؟

هزَّ (مارشيللو) كفيه ، وقال :

— بالأ تسمع هؤلاء الأوغاد باقتناصك ، بعد أن حطمت

زعيمهم ياسنيور (أدهم) .. هُيَا .. امضِ بسلام إلى
وطنك .

ابتسم (أدهم) ، وقال في هدوء وامتنان :

— لن نُهزم (إيطاليا) ، مادامت تضم رجالاً مثلك

يا (مارشيللو) .

ابتسم (مارشيللو) بدوره ، وقال :

— أسرع حتى لا تفوتك الطائرة .. إلى اللقاء ، أورداعاً

يا شيطان (المافيا) .

اتسعت ابتسامة (أدهم) وهو يقول :

— اسمي (أدهم) يا صديقي .. (أدهم صبرى) .

تألق الإعجاب في عيني (مارشيللو) ، وتعم في انفعال :

— أسرع إلى طائرتك إذن يا (أدهم صبرى) .

ووقف (مارشيللو) يتابع (أدهم) ببصره ، وهو يدخل
إلى قاعة المطار ، ورأى (منى) و (قدرى) ، وهما يندفعان
نحوه في سعادة غامرة ، وظل يراقبه في اهتمام ، وكأنهما يقوم على
حراسته ، حتى حُلقت الطائرة ، في طريقها إلى القاهرة .

هنا فقط تهُدَّ (مارشيللو) في ارتياح ، وغمغم وهو يتابع
الطائرة ببصره :

— وداعاً يا شيطان (المافيا) .. وداعاً يا (أدهم
صبرى) ، أيها الرجل الذى أثار إعجابى لأول مرة منذ
سنوات وسنوات .. وداعاً يا من سأطلق عليه في أعماق دوّما
لقباً يليق به .. لقب (رجل المستحيل) .

[تمّت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٣٦١٩

